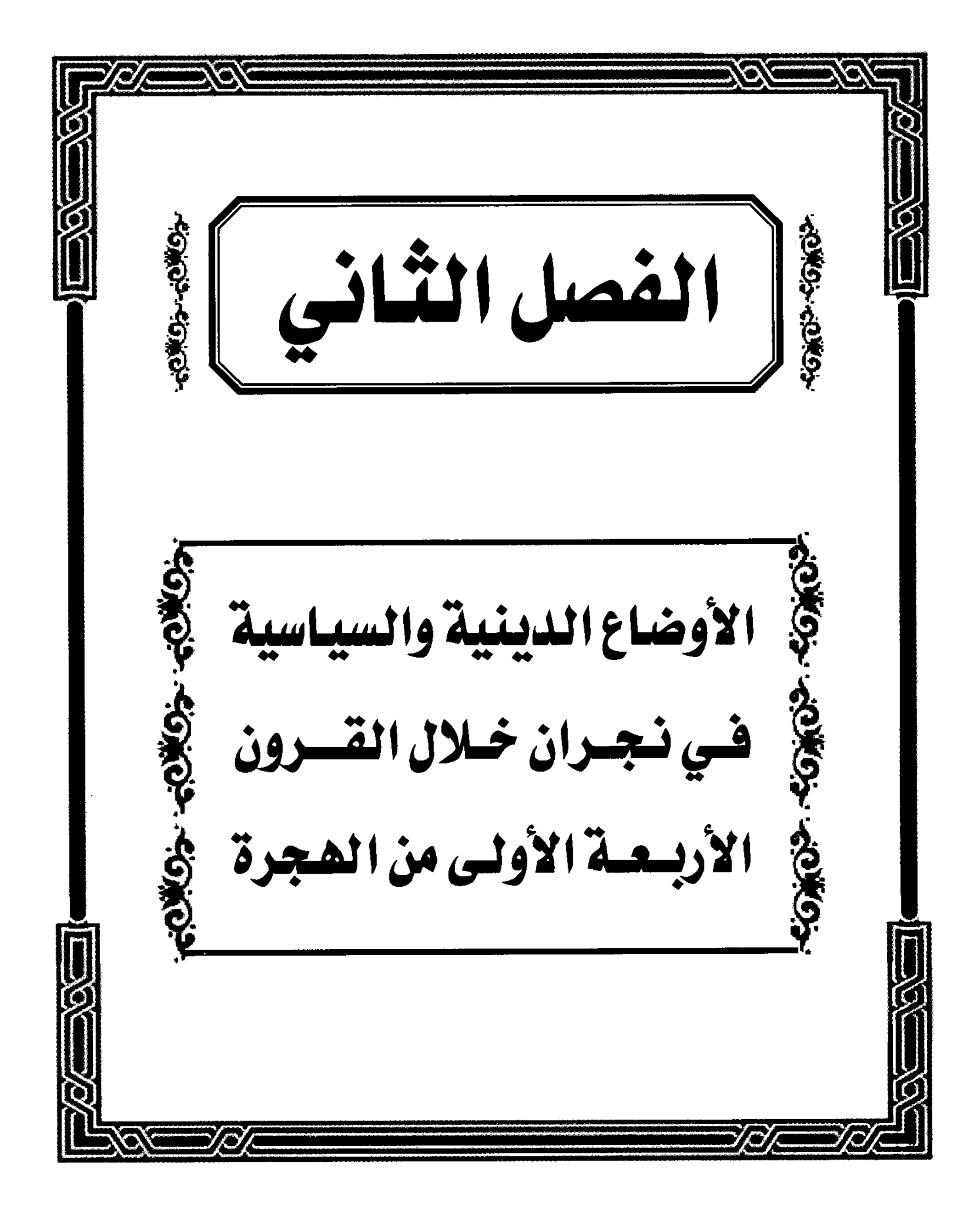
الأوضاع الدينية والسياسية في نجران خلال القرون الأربعة الهجرية الأولى (ق١-ق٤هـ/ق٧.ق١٠م) (*)

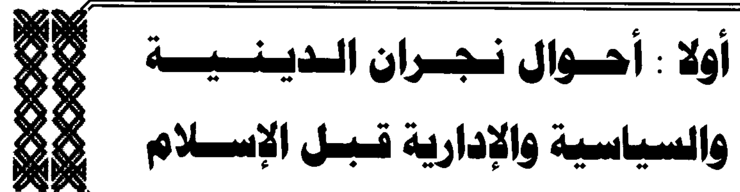
أ.د . غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب: نجران: دراسة تاريخية حضارية (ق١-ق٤هـ/ق٧-ق١٠م)، لغيثان بن جريس (الطبعة الثانية)(الرياض: مطابع الحميضي ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)جـ١ ،ص ص٥١-١٢٤ .

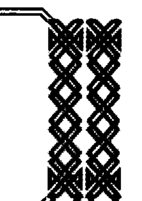


الفصل الثاني

الأوضاع الدينية والسياسية في نجـران خـلال القـرون الأربـعـة الأولـى من الهـجرة



أولا : أحوال نجران الدينية والسياسية والإدارية قبل الإسلام



١ – الأحوال الدينية :

ورد ذكر لنجران في المصادر التاريخية في ثنايا القصة التي أوردها المسعودي وتدور حول أبناء نزار بن معد بن عدنان عندما أوصاهم والدهم قبل موته بأن يذهبوا إلى الأفعى بن الأفعى الجرهمي ملك نجران ليحل ما قد يقع بينهم من شقاق بعد موته ، حول الإرث بعد وفاته (١)، وبالفعل اختلف هؤلاء الأبناء على تقسيم الإرث ، الأمر الذي دعاهم إلى تنفيذ وصية والدهم ، والرحيل إلى الأفعى ملك نجران ، ليحكموه بينهم ، وبعد مداولات طويلة ، اتضح لملك نجران من خلالها أنهم أصحاب حكمة ورأي ، وأخيراً حكم بينهم فرضوا بحكمه ، لما امتاز به هو الآخر من حكمة وبعد نظر ، ومعرفة واسعة بأحوال الناس وأوضاعهم (٢) .

والذي يهمنا من ملخص القصة التي أوردها المسعودي ، وما ورد منها بشأن نجران ، وأنها كانت مملكة ذائعة الصيت على رأسها الأفعى الجرهمي في الفترة التي تلت موت نزار بن معد بن عدنان ، والتي تعود على وجه التقريب إلى القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد ، حيث تشير مصادر أخرى إلى أن عدنان كان حياً في القرن السادس (ق . م) ، وبالتالي نرجح أن أحفاده الوارد ذكرهم في رواية

---

(١) القصة مدونة بشكل مطول في كتاب المسعودي ، مروج ، مج ١ جـ ٢ ، ص ٩٠ – ٩٤ ، وللمزيد من التفصيلات انظر ، ابن حزم ، ص ٨ وما بعدها ، البكري ، معجم ، مج١ جـ ١، ص١٧ وما بعدها ، ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٤٤٢ .

(٢) انظر تفصيلات لقاء أبناء نزار مع الأفعى الجرهمي ملك نجران ، وما حكم بينه به من توزيع إرث والدهم ، المسعودي ، مروج ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ٩٠ وما بعدها .

المسعودي (أبناء نزار بن معد) ربما عاشوا فيما بين القرنين ٥ ، ٤ (ق ، م) [١] .
ثم يتواتر بعد ذلك ذكر نجران وأهلها في بطون المصادر وخاصة فيما يتصل بالناحية الدينية والمعتقدات التي كانوا عليها ، فنرى أنهم كانوا على الوثنية مثلهم في ذلك مثل سائر قبائل اليمن ، فعلى سبيل المثال كان لهم نخلة طويلة ، يقيمون لها عيد في كل عام ، فيقصدونها في موعد محدد منه، ويقيمون حولها احتفالاً عظيماً ، ويعلقون عليها كل ثوب حسن وجديد ، كما يقومون على تزيينها بحلي النساء ومجوهراتهن [٢]، وقد ظلوا على هذه السيرة يعبدون الأصنام ويتبركون بها حتى وصلت النصرانية إلى بلادهم فاعتنقوها .

وقد أفاضت المصادر الإسلامية على اختلافها في الحديث عن كيفية وصول النصرانية إلى بلاد العرب وبخاصة نجران [٣] ، وفي اعتقادنا أن النصرانية قد وصلت إلى شبه الجزيرة العربية ، وانتشرت في نجران ، في فترة سابقة للقصة التي أوردتها مصادر التاريخ الإسلامي ، والتي سوف نوردها في الصفحات التالية ، ولكن قبل الخوض في تفاصيل ما ورد في المصادر العربية في هذا الشأن نرى الإشارة إلى ما ورد في المصادر الكلاسيكية بخصوص دور الإمبراطورية البيزنطية في نشر تلك الديانة السماوية في أرجاء العالم القديم ومن بينها جزيرة العرب ، فتشير تلك المصادر إلى أن النصرانية نشطت في أجزاء عديدة من العالم يوم اعتنقها الإمبراطور (قسطنطين) سنة ٣١٣م [٤]، وبالتالي فإن الإمبراطورية البيزنطية بقيادة هذا القيصر بدأت تعمل جاهدةً لنشر المسيحية في مواطن عديدة بهدف التوسع السياسي على حساب نشر العقيدة النصرانية ، فسعى هذا الإمبراطور إلى إرسال

---

(١) لمزيد من التفصيلات انظر ، ابن الكلبي ، نسب معد ، جـ١ ، ص ١١٨ وما بعدها ، ابن حزم ، ص ٨ – ٩، البكري ، معجم ، مج ١ ، جـ ١ ص ١٧ وما بعدها، دلال ، ص ٣٠ وما بعدها .

(٢) ياقوت ، جـ٥ ، ص٢٦٦ وما بعدها ، المسري ، ص٥٠ ، الأكوع ، اليمن، ص١٥١، البلادي ، ص ٢٢٧ .

(٣) للمزيد انظر ، ابن هشام ، جـ ١ ص ٣٢ وما بعدها ، ياقوت ، معجم ، جـ ٥ ، ص ٢٦٦ وما بعدها .

(٤) جواد علي ، جـ٢ ، ص٦٠٢ وما بعدها ، جـ ٣ ، ص٤٥٣ ، ٥٣٨ ، عابدين ، ص ٤٨ ، عامر ، ص ١٧، دلال ، ص ٢٣ – ٢٤ ، العقيلي ، ص ٢٥ – ٢٧ .

الدعاة والمبشرين إلى شبه الجزيرة فنجحوا في تأسيس عدة كنائس في جهات (مختلفة) منها مثل: عدن ، وظفار ، ونجران ، وجزر فرسان ، ودهلك ، وكمران [(١)] .

وعندما أصبحت المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية البيزنطية ، وأصبح الإمبراطور حاميها وراعيها في سنة ٣٥٦م [(٢)] ، تمكن المبشرون بمساعدة الإمبراطورية من تأسيس أسقفية رئيسة مقرها (ظُفار) لتكون المرجع المباشر لشؤون النصرانية في عدن ، وسقطرى ،ونجران ،والحيرة، وهرمز ، فاستطاعت تلك الأسقفية توطيد العقيدة النصرية في تلك الجهات وأعمالها [(٣)].

أما المصادر التاريخية العربية فإنها ذكرت قصة دخول النصرانية إلى نجران مع الاختلاف والتباين في تفاصيل القصة [(٤)] ، ولكنها تتفق وجوهر الموضوع إذ جاء الإسلام والنصرانية موجودة في بلاد نجران [(٥)].

فابن هشام وياقوت الحموي على سبيل المثال أشارا فيما دوناه عن كيفية انتشار النصرانية في نجران إلى أنه كان هناك رجلٌ يدعى (فيمون) أو (قيمون) بالقاف ، كان من حواري سيدنا عيسى عليه السلام، وكان يعيش في بلاد الشام، وكان صالحا مستجاب الدعوة ، وفي ذات مرة خرج من بلاد الشام حتى وطئ بعض أرض العرب ، فاختطفتة سيارة من بعض العرب وذهبوا به حتى باعوه لأحد أشراف نجران ، وأثناء إقامتة عند سيده بنجران ،

---

(١) المراجع نفسها .

(٢) المراجع نفسها .

(٣) المراجع نفسها .

(٤) هناك مصادر عديدة ذكرت قصة دخول النصرانية إلى نجران مع وجود اختلافات بسيطة في سرد القصة ، انظر ابن هشام ، جـ ١ ، ص ٣٢-٣٧ ، للمزيد انظر جواد علي ، جـ ٢ ، ص ٤٣ وما بعدها ، العقيلي ، ص ٢٥ – ٣٢ .

(٥) انظر اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨١ ، ابن سعد ، جـ ١ ص ٣٥٧ ، المسعودي، التنبيه ، ص ٢٥٥، الذهبي ، تاريخ ، جـ ١ ، ص ٥٧٨ .

فاذا جاء الليل أحياه بالصلاة والتهجد ، فعندما شاهد سيده ذلك أعجبه عمله وسأل عن دينه فأخبره به ، ثم قال فيمون : إنما أنتم في باطل ، وذكر أن تلك النخلة وبقية الأوثان التي يعبدوها لاتضر ولاتنفع ، ثم دعا الله (سبحانهُ وتعالى) على نخلتهم التي كانوا يعبدوها فأهلكها الله، وعندما رأى سيده وأهل نجران ما حل بالشجرة التي كانوا يقدسوها ، وعلموا أها فعلا لا تضر ولا تنفع تركوا عندئذ عبادة الأصنام واتبعوا دين فيمون فدخلوا دين النصرانية [١] ، ومن هنا دخلت النصرانية نجران . قال ابن إسحاق ((**فهذا حديث وهب بن منبة عن أهل نجران**)) [٢].

بينما يورد ابن هشام نقلا عن ابن(اسحاق) وتبعهما الطبري وغيره ذات القصة مع تفصيلات مختلفة فيذكرون أن بعض أهل نجران كانوا على ملة الشرك وعبادة الأوثان ، وكان عندهم ساحر يعلم أبناءهم السحر ، وكان منهم رجل يدعى الثامر وله ابن يدعى عبد الله ، فكان والده يبعثه مع غلمان أهل نجران لتعلم السحر عند ذلك الساحر، وكان الداعية فيمون قد أقام خيمته على الطريق الواصلة ما بين الساحر ومترل الغلام عبد الله الثامر، وكلما مر ابن الثامر بصاحب الخيمة (فيمون) أعجبه ما يرى من عبادته وقيامه وصلاته ، فعزم على الجلوس إليه والسماع منه حتى اعتنق دينه (المسيحية) ودخل فيه ، ثم أصبح داعية للنصرانية في جميع أرجاء نجران ، وقد نجح في نشر النصرانية بين أهل نجران [٣].

---

(١) ابن هشام ، جـ ١ ، ص ٣٢ – ٣٦ ، ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٦ ، للمزيد انظر ، الحكمي ، تاريخ ، ص ١٥٨ ، البلادي ، ص ٢٢٥ – ٢٢٧ .

(٢) ابن هشام ، جـ ١ ، ص ٣٥ .

(٣) ابن هشام ، جـ ١ ، ص ٣٢ وما بعدها ، الطبري ، جـ ٢ ، ص ١١٩ وما بعدها .

ولما علم ذو نواس الحميري ملك اليمن ، باعتناق بعض أهل نجران للنصرانية [١] بعث بدعاته إليهم يدعوهم إلى ما يدين به ، وهي ديانة اليهوديه ، فامتنعوا، فغزاهم وانتصر عليهم ، ثم خيرهم بين القتل أو الدخول في اليهودية فاختاروا القتل ، فخد لهم الأخدود [٢] ، ثم حَرَّق بالنار كثيراً منهم ، وآخرين أرداهم بالسيف ومثَّل بهم حتى يقال إنه قتل منهم حوالي عشرين ألفاً ، فنزل القرآن الكريم في ذي نواس وجنده قال تعالى ﴿ **قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ، النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ، وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَن يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾ [٣] .

(*) كعبة نجران :

وكما أسلفنا القول – فيما سبق – أن بني الحارث بن كعب المذحجيين قد استولوا على نجران وتملكوها قبل ظهور الإسلام بقرون ثم ظهرت فيهم أسرة آل (عبد المدان) بن الديان الحارثي ، وهم من سادات بني الحارث بن كعب ، فصاروا أصحاب الحل والعقد في بلاد نجران ، وذاع صيتهم ، وهابتهم العرب حتى قال شاعرهم :

تَلُوثُ عِمَامَةً وتَجرُّ رُمْحاً كَأَنَّكَ مِنْ بَنِي عَبْدِ المَدَانِ

---

(١) يقال أن " ذو نواس " كان على دين اليهودية ، وكان آخر ملوك حمير ، وقد تسمى باسم " يوسف " وهو صاحب الأخدود . انظر ابن هشام ، جـ ١ ، ص ٣٢ ، الطبري ، جـ ٢ ، ص ١٢٢-١٢٣ ، الشجاع ، ص ٦١ ، دلال ص ٥٤ ، شرف الدين ، اليمن ، ص ١٥٨ – ١٥٩ .

(٢) الأخدود : حفرة بشكل مستطيل كالخندق ، ولا تزال آثارها واضحة حتى اليوم ونطالب علماء الآثار بأن يجروا دراسات اثرية جادة ليس على الأخدود في نجران فحسب وإنما على مواطن عديدة بها ، وان فعلوا ذلك فإنهم بالتأكيد سوف يخرجون لنا (بإذن الله) دراسات علمية أكاديمية جادة .

(٣) سورة البروج ، آية : (٤ – ٨) انظر ابن كثير ، التفسير ، جـ ٤ ، ص ٥٢٤ – ٥٢٥ ، الطبري ، جـ ٢ ، ص١٢٣ وما بعدها ، ياقوت ، جـ٥ ، ص ٢٦٦ وما بعدها ، الشجاع ، ص٦٠ –٦١ ، دلال ، ص٥٤ – ٥٦

وفي هذا دلالة على ما تمتعوا به من شجاعة وفروسية ، بل بلغ بهم الاعتداد بأنفسهم أن شيدوا كعبة ، أطلقوا عليها " كعبة نجران "، وكان الذي بناها عبد المدان ابن الديان الحارثي [١]، وتأسيسها كان على شكل مربع متساوي الأضلاع والأقطار ، مرتفعة عن الأرض فلا يصعد إلى سطحها إلا بدرج ، وكان الغرض من بنائها منافسة الكعبة الشريفة بمكة المكرمة [٢] . وتذكر المصادر أن آل عبد المدان قد بالغوا في تشييدها فجاءت على هيئة قبة من أدم من ثلاث مئة جلد [٣]، وكانت جدرانها وسقفها مطعمة بالفسيفساء والذهب ، كما أنهم اختاروا لبنائها موقعا متميزاً على وادٍ يغص بالأشجار والرياض [٤]، ورتبوا أساقفة مقيمون وهم الذين وفدوا على النبي ﷺ في المدينة [٥]، وكان أهل نجران يعظمونها ، وكذلك بعض الطوائف من قبائل العرب المجاورة لمذحج مثل خثعم وهمدان وغيرها ، فكانوا يشدون إليها الرحال في الأشهر الحرم ولا يقصدون الكعبة في مكة المكرمة [٦]. وقد اصطنع آل عبد المدان لبنائهم هذا هيبة ومنزلة رفيعة فأطلقوا عليها اسم " **كعبة نجران** " ثم جعلوا لا يأتي إليها الخائف إلاّ ويعطى الأمان ، أو طالب حاجة إلا وتقضى حاجته ، أو مسترفد إلا ويرفد ويعطى [٧].

---

(١) وكان أول من سكن نجران من بني الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان، يزيد بن عبد المدان، وكان عبد المسيح ، المعروف بـ (العاقب) زوجه ابنته دهيمة فولدت له عبدالله بن يزيد، ومات عبدالله بن يزيد فانتقل ماله إلى يزيد فكان أول حارثي حل في نجران، وبقي نسله في سلطة البلاد حتى جاء الإسلام، ابن هشام، جـ٢، ص٢٢٢، ياقوت، جـ٥، ص٢٦٩.

(٢) البكري ، معجم ، مج ١ جـ ٢ ، ص ٦٠٣ . وقد ذكر الهمداني بعض مواطن العبادة في عهده مثل : مكة ، وإيلياء ، واللات بأعلى نخلة ، وذو الخلصة بناحية تبالة ، وكعبة نجران ، وريام في بلد همدان ، وكنيسة الباغوته بالحيرة . انظر الصفة ، ص ٢٦٨ .

(٣) ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٨ ، القزويني ، ص ١٢٦ .

(٤) البكري ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ٦٠٢ وما بعدها ، ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٨ .

(٥) القزويني ، ص ١٢٦ – ١٢٧ ، ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٨ .

(٦) ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٨ ، البكري ، معجم ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ٦٠٣ .

(٧) الهمداني ، صفة ، ص ٢٦٨ ، ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٨

وللشاعر الأعشى صلة بآل عبد المدان ، فكان يزورهم في كل سنة مرة أو مرتين فيقيم عندهم بعض الوقت ويجالسهم ويثني عليهم ويمدحهم ويمدح كعبتهم ، ومن شعره :

وَكَعْبَةُ نَجْرانَ حَتْمٌ عَلَيْك ... حَتَّى تُنَاخِي بِأَبْوابِهَا
تَزُورُ يَزْيِداً وَعَبْدَ المَسِيحِ ... وَقَيْسَاً هُمُ خَيرُ أَرْبَابِهَا
وَشَاهِدُنَا الْوَرْد وَالْيَاسَمِينَ ... وَالْمُسْمِعَاتُ بِقُصَّابِهَا
وَبُرْبُطُنا دَائِمٌ مُعْمِلٌ ... فَأَيُّ الثَّلاثة أَزْرَى بِهَا ؟
إِذَا الْحِبَراتُ تَلَوَّتْ بِهِمْ ... وَجَرُّوا أَسَافِلَ هُدَّابِهَا [١]

ومما ينهض دليلاً على كرم آل عبد المدان ، وكذلك التزامهم بتلبية طلب من يلجأ إليهم وإلى كعبتهم ، ما ذكرته بعض المصادر ، من أن رجلاً من ثمامة قد جاور عبد الله بن الصمة ، فهلك عبد الله ، وأقام الرجل في جوار أخيه دريد [٢]وأغار أنس بن مدركة الخثعمي على بني جشم فأصاب مال الثمالي وجيران لدريد آخرين ، فتراخى دريد عن طلب القوم ، لاشتغاله بحرب من يليه ، ولما ألح عليه جاره قال : أمهلني عامي هذا [٣]، وخرج ليلة فسمع الثمالي يترنم بشعر فأنصت فإذا هو يقول :

---

(١) ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٨ ، العقيلي، ص٦٧– ٦٨، وفي اعتقادنا أن أهل نجران لم يكونوا كلهم متبعين الديانة المسيحية ، فقد كان وادي نجران يضم العديد من القرى على جانبيه ، بالإضافة إلى القرى الأخرى الواقعة في حيز نجران ، وإنما كان أهل قرية أو قريتين في غالب الظن هم الذين اتبعوا المسيحية منها قرية الحصن ، أو (نجران) قاعدة المنطقة والتي سميت باسم واديها الشهير، وخد الأخدود بجوارها ، وأطلق فيما بعد على هذا الموضع : قرية الأخدود ، ثم هجرت واندثرت وتحولت إلى آثار ، أما بقية سكان القرى الأخرى فربما كانوا على دين الوثنية شأنهم شأن معظم العرب في ذلك الوقت ، وكما ذكر الطبري ((كان الأخدود في قرية من قرى نجران ، ونجران القرية العظيمة التي اليها مجاع أهل تلك البلاد))الطبري،جـ ٢، ص١٢١ ، وللمزيد من التفصيلات انظر الهمداني ، صفة ، ص ٣١٨ ، ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٦ وما بعدها ، حمزة ، ١٧١ .

(٢) الأصفهاني (مطبعة بولاق)جـ ٩ ، ص ٢ .

(٣) المصدر نفسه ، بدوي ، ص ٥٣ ، العقيلي ، ص ٦٩ .

كَسَاكَ دُرَيْدُ الدَهْرَ ثَوْبَ خَزَايَةٍ وَجدَّعَــكَ الحَامِــي حَقِيقَةَ انس
دَعِ الخَيْلَ وَالسُمْرَ الطِّوالَ لخَثْعَمٍ فَمَا أَنْتَ والرُّمْحُ الطَّوِيلُ وَمَا الفَرْسُ
وَمَا أَنْتَ وَالغَزْوُ المُتَابِعُ للعدَا وَهَمُّكَ سَوْقُ العَوذِ وَالدَّلوِ وَالمُرْسُ
فَلَو كَــانَ عَبْدُ اللهِ حَيَّاً لَرَدَّهَا وَمَا أَصْبَحَتْ إِبلي بِنَجْرَانَ تُحْتَبَسُ
وَلأَصْبَحَتْ عِرْسِي بِأَشقَى مَعْيشَةٍ وَشَيْخٌ كَبِيْــرٌ مِنْ ثُمَالَةَ فِي تَعْسِ
يُرَاعِي نُجُومَ اللَّيلِ مِنْ بَعْدِ هَجْعَةٍ إِلى الصُبْحِ مَحْزُوناً يُطَاوِله النَّفْسُ
وَكُنْتُ وَعَبْدُ اللهِ حَيَّاً وَمَا أَرَى أُبَالي مِنَ الأحْيَاءِ مَنْ قَامَ أَو جَلَسْ
فَأَصْبَحْتُ مَحْزُوناً هَظِيماً لِفَقْدِهِ وَهَلْ مِنْ نَكِيرٍ بَعْدَ حَوْلَينِ تُلْتَمَسْ [١]

فلم ينته دريد من سماع هذه الأبيات الا وأصبح قلقاً لا يهدأ له بال حتى يسترد ما سلب من جاره ، ثم شاور ذوي الرأي من قومه فقالوا له : ارحل إلى يزيد ابن عبد المدان ، واطلبه في رد ما سلب أنس بن مدرك الخثعمي ، لأن أنس قد ترك جميع المال والعيال بنجران ، فقال دريد : سأبعث إليه بمدحه ثم أنظر مكانتي من الرجل ، ثم أنشأ هذه الأبيات وبعثها إلى يزيد :

بَنِي الدَّيَّانِ رُدُّوا مَال جَارِي وَأَسْرى فِي كُبُولِهمُ الثِّقَالِي
وَرُدُّوا السَّبْيَ إنْ شِئتُمْ بِمَنٍّ وَإِنْ شِئْتُمْ مُفَادَاتٍ بِمَالِ
فَأَنْتُمْ أَهْلُ عَائِذَةٍ وَفَضْلٍ وَأَيْدٍ فِــي مَوَاهِبِكُمْ طِوَالِ
مَتَى مَا تَمْنَعُوا شَيئاً فَلَيْسَتْ حَبَائِلُ أَخْذِه غَيرُ السُّؤَالِ
فَأَوْلُونِي بَنِي الدَّيَّانِ خَيرَاً أُقِرُّ لَكُمْ بِهِ أُخْرَى اللَّيَالِي [٢]

---

(١) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٩ ، ص ١٧ ، العقيلي ، ص ٦٩ - ٧٠ .
(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٩ ، ص ١٧ ، الهاشمي ، ص ٢٥٧ ، العقيلي ، ص ٧٠ - ٧١ .

فلما بلغ يزيد شعره قال : وجب حق الرجل ، فسار إليه دريد فأكرمه يزيد، وأحسن مثواه ، وأعطاه مطلبه [١] .

وهذا أنموذجٌ من بعض القيم والمثاليات التي كان يتصف بها أهل نجران ، وعلى رأسهم حكامهم آل عبد المدان المذحجيون .

٢ - الأحوال السياسية :

حفظت لنا الروايات التاريخية الكثير من أخبار العصر الجاهلي ، وأطلعتنا على النقط المشرقة من أحوال القبائل العربية وحروبها مع بعضها وغاراتها وغزواتها وعاداتها وقيمها وتقاليدها ، ونمط حياتها اليومية [٢] . ومن تلك الروايات أقوال مطولة عن نجران وقبائلها ، وحروبها مع جيرانها ، وبعض العادات والتقاليد ، ومن أشهر الوقائع والأحداث السياسية ما يلي :

أ- يوم الكلاب الثاني : وقع هذا اليوم عقب يوم الصفقة [٣] ، وكان بين بني تميم وأحلافهم وبين مذحج ومن التف حولهم من قبائل العرب ، وذلك أن مذحج وأحلافها طمعوا في أموال وذراري بني تميم بعد هزيمتهم أمام جيش كسرى الفارسي في يوم الصفقة ، فرغبوا في غزوهم ، ونادوا في أحلافهم قائلين اغتنموا بني تميم ، وقد سألت قبائل مذحج كاهنها المأمور الحارثي فنهاهم عن ذلك قائلاً :

---

(١) المصادر والمراجع نفسها .

(٢) للمزيد انظر جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، في (عدة مجلدات) .

(٣) يوم الصفقة : هو يوم حرب وقع بين كسرى ملك الفرس وبني تميم ، وذلك بسبب أن بني تميم أغاروا على قافلة لكسرى ملك الفرس كانت تحمل المسك والعنبر والجوهر ، فأوقع بهم كسرى وأخذ الأموال وسبى الذراري . انظر ، ابن عبد ربه ، جـ ٦ ، ص ٧٩ ، جواد علي جـ ٥ ، ص ٣٥٢ . وللمزيد انظر ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ١ ، ص ٣٧٨ وما بعدها .

لا تغزوا بني تميم فإنهم يسيرون أقتاباً ، ويردون جباباً ، فتكون غنيمتكم تراباً ، ولكنهم لم يأخذوا برأيه ، بل سارت تلك القبائل طامعة في تميم وقد جمعت اثني عشر الف مقاتل من مذحج وكندة وهمدان ، وهو أعظم جيش أخرجته العرب كما ذهب الإخباريون (١) ، وكان من رجال مذحج يزيد بن عبد المدان، ويزيد ابن المخرم، ويزيد بن الكيثم (٢) ، بن المأمون ، ويزيد بن هوبر كلهم حارثيون (٣) . وكان رئيسهم عبد يغوث بن صلاة الحارثي ، وساروا جميعاً إلى بني تميم ، وبلغ ذلك سعد والرباب (أحلاف بني تميم) فانطلق قوم من أشرافهم إلى أكثم بن صيفي وهو قاضي العرب فاستشاروه ، فقال لهم : أقلوا الخلاف على أمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل ، يا قوم اثبتوا فإن أحزم الفريقين الركين ، فلما انصرفوا من عنده تهيئوا واستعدوا للحرب ، وأغار عدوهم فاستاق بعض النعم ، فأقبلت سعد والرباب لاستنقاذها ، ودارت المعركة فهزمت مذحج وحلفاؤها ، وصاح قيس بن عاصم المنقري ، قائد تميم :((**يا آل تميم لا تقتلوا إلا فارساً فإن الرجالة لكم**)) فما زالت تميم في آثارهم يقتلون ويأسرون حتى أسر عبد يغوث بن صلاة قائد مذحج وحلفاؤها (٤) . وعندما أسروا عبد يغوث الحارثي عمدوا إلى إهانته ، وكان شاعراً ، فربطوا لسانه خشية أن يهجوهم ، فقال إنكم قاتلي ولا بد ، وعرف ذلك من سلوكياتهم ، ثم وعدهم بأن لا يهجوهم ويفكوا لسانه كي ينوح على نفسه ويذم أصحابه ففعلوا ذلك ، فقال شعراً :

---

(١) ابن عبد ربه ، جـ ٦ ، ص ٧٩ – ٨٦ .

(٢) ويطلق عليه (الكيسم) وقيل (اليكسم) .

(٣) ابن عبد ربه ، جـ ٦ ، ص ٧٩ وما بعدها ، العقيلي ، ٦١– ٦٣ .

(٤) ابن عبد ربه ، جـ٦، ص٧٩– ٨٠ ، البكري ، معجم ، مج ٢ ، جـ٣ ، ص١١٣٢، ابن الأثير ، الكامل جـ١، ص ٣٧٨– ٣٧٩، ابن حزم ، ص٤١٧ ، جواد علي، جـ٥ ، ص ٣٥٣، العقيلي ، ص٦١–٦٢ .

أَلاَ لاَ تَلُومَانِي كَفَى اللَّومَ مَا بِيا فَمَا لَكُمَا فِي اللَّومِ نَفْعٌ وَلاَ لِيَا
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ المَلاَمَةَ نَفعُهَـــا قَليلٌ وَمَا لَومٌ أَخِي مِنْ شِمَالِيا
فَيَا رَاكِبَاً إِمَّـــا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانَ أَنْ لاَ تَلاَقِيَا
أَبَا كَرِبٍ وَالأَيْهَمِيْـــنِ كِلَيْهِمَا وَقَيْسَاً بِأَعْلَى حَضْرَمَوتَ اليَمَانِيَا
أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ مَعَاشِرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا مِنْ لِسَانِيَا [(١)]

وهي قصيدة طويلة يلوم فيها أصحابه على تقاعسهم عنه حتى وقع فـــــي الأســـر ، ثم ينوح على ما كان فيه من قوة وشجاعة ومجد ورفعة في بلاده وبين أهله وقومه [(٢)] .

ب – يوم فيف الريح [(٣)] : هذا اليوم كان في الزمن الذي بعث فيه الرسول ﷺ بمكة المكرمة وسببه أن قبائل مذحج، وأكثرها بنو الحارث بن كعب في نجـــران ، وقبائل أخرى مجاورة لهم مثل : مراد ، وجعفي ، وزبيد ، وخثعم وعليهم أنس بن مدركة الخثعمي ، وعلى بني الحارث الحصين بن يزيد الحارثي كانوا قد أغـــاروا على بني عامر بن صعصعة بأعلى نجد ، وعلى العامرين عامر بن الطفيل وعامر بن مالك ملاعب الأسنة [(٤)] ، وقد تصدَّى العامريون لمذحج وأحلافها ودار بينـــهم قتال شديد ، وتساوى الفريقان ، فلم ينتصر أحدهما على الآخر نصراً مبينـــاً ، إذ وقع القتل في الفريقين ، ولكن في تلك الوقعة أصيبت عين عامر بن الطفيـــل [(٥)] ، وكان مسهر بن يزيد الحارثي هو الذي أصابه [(٦)]. فقال عامر بن الطفيل في ذلك شعراً :

---

(١) ابن الأثير ، الكامل ، جـ١ ، ص٣٨٠–٣٨٢ ، كما انظر قصيدته كاملة ، ابن عبد ربه ، جـ٦ ص٨٤– ٨٥.
(٢) المصادر نفسها .
(٣) يذكر أنه موضع بأعلى نجد ، انظر ، جواد علي ، جـ ٥ ، ص ٣٥٣ .
(٤) انظر لمعلومات أكثر عن (عامر بن مالك ملاعب الأسنة) ابن حزم ، ص٢٠٣، ٢٠٥، ٢٥٨، ٤١٧ .
(٥) جواد علي ، جـ ٥ ص ٣٥٣ – ٣٥٤ ، العقيلي ، ص ٦١ .
(٦) مسهر الحارثي عاش في العهد الجاهلي ، بقي حتى ادرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، ابن حزم ، ص ٤١٧ .

لَعمْري وَمَا عَمْري عَلَيَّ بهَيِّنٍ   لَقَدْ شَانَ حُرُّ الوَجْه طَعْنةُ مُسْهرِ
أَعَاذلُ لَو كَانَ البدَاد لقُوتلُوا   وَلكنْ نَزَوْناً بالعْدَيد الجُمْهرِ
وَلو كَانَ جَمْـعٌ مثْلَنَا لم يَبزّنا   وَلكنْ أَتَتْنَا أُسْرَةٌ ذَاتُ مَفْخَرِ
أَتَوْنا بِبَهْرَاءٍ ومَذْحِـجَ كلِّهَـا   وَأَكْلُبَ طُراً في جِنانِ السَّنَوَّرِ [١]

جـ- يوم نجران : وكان للأقرع بن حابس في قومه من بني تميم مع قبائل نجران وحلفائها، وقد وقع قتال مرير بين الفريقين انتهى بفوز الأقرع وقومه على قبائل نجران [٢] .

وقد عرف عن سادة نجران وحكامها حماية من كان يقصدهم سواء كان طالباً النصرة منهم أو لاجئاً إليهم هرباً من قومه وأهله وعشيرته ، وقد امدتنا كتب السيرة بعدد من الأمثلة على ذلك ، أوضحها ما ورد أثناء فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة ، فقد هرب إلى نجران عبدالله بن الزِّبَعْري السهمي ، وهو ممن كانوا يهجون رسول الله ﷺ ويحرضون عليه المشركين ، فأصبح وضعه حرجاً عندما فتحت مكة فهرب إلى نجران ، وكان برفقته هبيرة بن أبي وهب المخزومي ، زوج أم هانئ [٣] ، وقد كان احتمى الزبعري ببني الحارث بن كعب ، أصحاب السيادة والأمر والنهي بنجران ، فسألوه عن أخبار قريش ، وأخبار المسلمين ، فأخبرهم أن رسول الله ﷺ قد فتح مكة، وأن قريشاً قد خضعت ودانت له بالسمع والطاعة، وأن رسول الله ﷺ قادمٌ إليهم [٤] .

---

(١) ابن عبد ربه ، جـ ٦ ، ص ٨٨ – ٨٩ .

(٢) لمزيد من التفصيلات عن هذا اليوم ، وعن تلك المعارك التي حدثت بين الطرفين، انظر، جواد علي، جـ ٥، ص ٣٤٥ وما بعدها ، العقيلي ، ص ٦١ –٦٢ ، وللمزيد عن صراعات قبيلة مذحج مع غيرها من القبائل المجاورة لها مثل : قبائل حمير ، وخولان ، وهمدان ، وغيرهم انظر الشجاع ، ص ٢٩ وما بعدها .

(٣) أم هانئ بنت أبي طالب ، التي بقيت في مكة المكرمة حتى جاء الإسلام فأسلمت ، وبقي زوجها بنجران حتى مات على الشرك . انظر ، الواقدي ، جـ ٢ ، ص ٨٤٧ – ٨٤٩ .

(٤) انظر ، الواقدي ، جـ ٢ ص ٨٤٧ – ٨٤٩ ، الطبرى ، جـ ٣ ص ٦٤ .

وهذه الأخبار التي نقلها ابن الزبعري وهبيرة المخزومي إلى المسؤولين بنجران من بني الحارث بن كعب دفعتهم إلى الاستعداد والتهيؤ بترميم حصوهم ، وإصلاح ما هدم منها، وجهزوا أنفسهم بالمؤن والعدد والعدة [١]. أما ابن الزبعري فلم يمكث طويلاً بنجران، وإنما عاد إلى الحجاز، وقابل الرسول ﷺ معتذراً نادماً على ما صدر منه، وأعلن إسلامه، فقبل الرسول ﷺ منه العذر [٢] .

٣ – الأوضاع الإدارية :

كان نظام القبيلة هو السائد في نجران وغيرها من أجزاء شبه الجزيرة العربية ، وشيخ القبيلة هو صاحب الحل والعقد في قبيلته ، ومنه وأهل الرأي من حوله تستمد الأوامر التي يسير عليها أفراد القبيلة ، فلا يعقد أمر أو تحل قضية ، أو تقوم حرب ، أو تعقد هدنة ، أو أي أمر يخص شؤون القبيلة داخلياً أو خارجياً ، إلا بأمره ونظره ، ويؤكد مع ذلك الرحالة ابن المجاور ، من أهل القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، في حديثه عن أهل نجران وغيرهم من أهل البلاد الممتدة من صنعاء جنوباً إلى مكة المكرمة شمالاً ، فيقول : " **يحكم على كل قرية [عندهم] شيخ من مشائخها كبير القدر والسن ، ذو عقل وفطنة ، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولم يخالفه أحد فيما يشيره عليهم ، ويحكم فيهم ...** " [٣] .

فهكذا كانت القبيلة تمثل قمة الهرم الإداري والسياسي المحلي عند نجران وغيرها من بلدان شبه الجزيرة العربية خلال العصر الجاهلي ، وقد استمرت الحياة الإدارية بهذه الصورة

---

(١) الواقدي ، جـ ٢ ص ٨٤٧ وما بعدها ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ٦٤ ، ابن حزم ، ص ١٤١ ، ١٦٥ .

(٢) الواقدي ، جـ ٢ ، ص ٨٤٩ ، البلاذري ، أنساب ، جـ ١ ، ص ٣٦٢ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ٦٤ ، ابن حزم ، ص ١٦٥ ، ويذكر الطبري أن حسان بن ثابت كتب شعراً شديد اللهجة إلى ابن الزبعري ويحثه فيه على القدوم إلى مكة والدخول في الإسلام ، فعاد وأسلم . راجع هذه الأبيات في : تاريخ الطبري ، جـ ٣ ، ص ٦٤ .

(٣) ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٢٦ .

عند بعض القبائل والعشائر البعيدة عن السلطة الإدارية الموجودة في المدن والحواضر الكبرى في شبه الجزيرة العربية مثل : مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وصنعاء وغيرها [١] .

ورغم تمسك نجران بمثاليتها العربية ، وتقاليدها القبلية ، ووجود من يـدين باليهودية ، أو ما زال على الوثنية من أهلها ، إلا أن انتشار النصرانية في نجران ووجود بني الحـارث حماتها وأصحاب السيادة السياسية والروحية في البلاد ، جعل لنجران نظامها الكهنوتي وشرعتها الدينية ولأهلها نهجهم الخاص في الأحوال الشخصية فكان لهم هيئة دينية عليا تدبر أمرهم وتتألف من :

أ - شخص يطلق عليه لقب " السيد " يتولى الشؤون المالية من جمع الإعانات والهبـات للكنيسة و النذور وغير ذلك ، ويقوم بمـشورته رجـال معروفـون بـصرف المساعدات والديات الملزمة بها القبيلة أو المعسر ، وما يلزم لإصـلاح الكنـائس وحياة رجال الدين والضيافات وغيرها ، كما أنه مسؤول عن تـسيير قوافلـهم التجارية ، وتنظيمها والإشراف على علاقة جاليته بالقبائل العربية الأخرى [٢] .

ب - شخص يطلق عليه لقب " العاقب " وعمله رئاسـتهم وتـدبير أمـورهم ، والإشراف على السياسة الداخلية والخارجية ومباشرتها [٣] .

جـ - الأسقف : وهو المرجع الديني ، وعالمهم وحـبرهم ، يـشارك في الـسياسة الداخلية والخارجية للجالية ، ولا يصدر حكماً ، ولا تنفذ سياسة داخلية أو خارجية إلا بموافقته [٤] .

وبما أن الإنسان صورة حية لمعتقده ، وتجسيد لدينه ، فقـد كـان لأهـل نجـران مع تقاليدهم العربية نظامهم الديني الذي يحكم سلوكهم ، ويـضبط تـصرفاتهم ، ويحـدد واجباتهم ، ودور الفرد تجاه أسرته ومجتمعه .

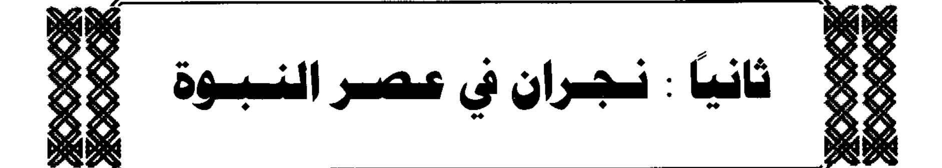
---

(١) وخاصة عندما خرجت الخلافة الإسلامية من الحجاز ، وأصبحت في بلاد الشام ثم العراق ، فالكثير من أجزاء شـبه الجزيرة العربية النائية سادتها الفوضى والإهمال ، وأصبح شيوخ القبائل هم الآمرين الناهين في أوطـانهم ، وذلـك لغياب السلطة الإدارية الرسمية وانحسارها في المراكز الحضارية الكبرى .

(٢) ابن هشام ، جـ ٢ ، ص ٢٢٢ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .



ثانياً : نجران في عصر النبوة

١ - موقف أهل نجران من الدعوة الإسلامية

خلصنا مما سبق إلى أن النصرانية قد انتشرت بين طوائف من أهل نجران ، وأقبل على اعتناقها أبناء الطبقة العليا وأصحاب السلطة في البلاد ، ورغم ذلك فقد ظل من بين سكان نجران من تمسك بوثنيته واستمر على شركه وعبادته للأوثان ويتضح لنا ذلك من خلال ما سطرته المصادر عن بداية دعوة الرسول ﷺ لأهل نجران للدخول في الإسلام ، فتشير إلى أن النجرانيين كانوا آنذاك فريقين نصارى ومشركين . ففي أعقاب صلح الحديبية [١] ، الذي عقد بين المسلمين ومشركي قريش بدأ الرسول ﷺ في إنفاذ رسله وسفرائه وكتبه إلى الأمصار الإسلامية في شتى أنحاء الجزيرة العربية وخارجها في البلاد المحيطة بها [٢] . ومن تلك الأمصار التي بعث إليها مدينة نجران [٣]، ففي سنة (١٠هـ/٦٣١م) أرسل إلى نجران سرية بقيادة خالد بن الوليد قوامها أربعمائة رجل ، وكانت السيادة بنجران – كما ذكرنا سابقاً – بيد بني الحارث بن كعب المذحجيين [٤] .

---

(١) للمزيد عن صلح الحديبية ، انظر ، ابن هشام ، جـ ٣ ، ص ٣٢١ – ٣٢٩ ، الواقدي ، جـ ٢ ، ص ٥٧١ وما بعدها .

(٢) عن سفارات الرسول ﷺ وكتبه إلى ملوك وأمراء الأمصار والمناطق المجاورة ، انظر حميد الله ، ص ١٣٥ وما بعدها .

(٣) جواد علي ، جـ ٤ ، ص ١٨٨ وما بعدها .

(٤) ابن خياط ، ص ٩٤ ، البلاذري ، انساب ، جـ ١ ، ص ٣٨٤ . للؤلف نفسه ، فتوح ، ص ٧٥ وما بعدها ، عبد البر ، جـ٢ ، ص٤٢٩، الواقدي ، جـ٣ ، ص ٨٨٣ ، ابن سعد ، جـ١ ، ص ٣٢٩ ، الطبري ، جـ٢، ص ١٢٦ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ١٩٩ وما بعدها .

وقد أمر الرسول ﷺ خالداً بأن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثة أيام ، فإن استجابوا له فليقم بينهم ليعلمهم ويفهمهم أساسيات ما جاء به الإسلام من تعاليم ، كالتوحيد ، والصلاة ، والصيام وغير ذلك من أركان وقواعد الإسلام وإن لم يستجيبوا فليحاربهم (١) .

وعندما وصلت سرية خالد إلى نجران ، بعث الركبان يضربون في كل وجه ، يدعون الناس إلى الإسلام ، ويقولون : يأيها الناس اسلموا تسلموا ، فأسلموا ، لاسيما بعض بني الحارث بن كعب ، ولحقت بهم القبائل والعشائر النجرانية الأخرى ، إلا النصارى فانهم ظلوا على ديانتهم (٢) ، ثم قام خالد بن الوليد ومن معه من المسلمين بينهم يعلمونهم شرائع الإسلام ، بل اخذوا الصدقات من أغنيائمهم وردوها على فقرائهم (٣) .

وبنو الحارث بن كعب قد دخلوا في الإسلام ، وقد كانوا قبل ذلك عازمين على القتال ، وأعدوا لذلك العدة والعتاد ، لكن مالذي جعلهم يُغَيّرون موقفهم ويقبلون على اعتناق الإسلام في فترة وجيزة جداً ، وبدون قتال ، وربما يرجع ذلك لعدة أسباب منها :

أ - عدم قدرتهم على مواجهة جيوش المسلمين التي استطاعت القضاء على قبيلة قريش ، المرهوبة الجانب ونجاحهم في مكة المكرمة التي كانت بمثابة المرحلة الأولى في رحلة الجيش الإسلامي المتجه إلى بلاد السراة ونجران وأرض اليمن لنشر العقيدة الإسلامية وبالتالي نظروا للأمور بنظرة حكمة وتعقل فدخلوا الإسلام بدون حرب إدراكاً منهم أنه الدين الذي ستؤول له السيادة على جزيرة العرب .

---

(١) انظر ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٦ .

(٢) سوف نناقش وضع النصارى بعد الحديث عن النجرانيين الذين دخلوا الإسلام .

(٣) البلاذري ، أنساب ، جـ ١ ص ٣٨٤ ، الطبري جـ ٣ ص ١٢٦ وما بعدها .

ب - أن الصراعات والحروب القبلية ربما تكون قد أنهكت قبيلة مذحج ، التي ينتسب إليها بنو الحارث بن كعب ، ومعظم سكان نجران ، فرأوا أن دخولهم في الإسلام قد ينقذهم من عناء الحروب وشظف العيش ، وبخاصَّة أن خالد بن الوليد عندما جاء إليهم وضح ما يجب لهم وما عليهم فوجدوا في الإسلام ضالتهم المنشودة .

ج - أن غالبية الذين استجابوا لخالد بن الوليد واعتنقوا الإسلام كانوا من الوثنيين ، وبالتالي فالعامل الديني لعب دوره في سرعة دخولهم للديانة السماوية الجديدة ، خاصة وأن الديانتين اليهودية والنصرانية كان لا يزال هناك من يدين بهما في نجران، والوثنيون بالتالي ربما لاحظوا مدى تخلفهم العقدي مقارنة بأصحاب الديانات السماوية السابقة فرأوا في الإسلام فرصة ثمينة فاغتنموها عند ما جاءتهم الدعوة الإسلامية الداعية إلى وحدانية الله ، فاستجابوا لها ودخلوا الإسلام في أيام معدودة ليكونوا بدورهم أصحاب رسالة سماوية فيتماثلون هم ويهود ومسيحي نجران .

وبعد نجاح خالد بن الوليد في مهمته سلماً وإقناعاً لأهل نجران بالدخول في الإسلام بعث بكتاب إلى رسول الله ﷺ يخبره بذلك ، وأنه مقيم بينهم تلبية لأوامره يعلمهم شرائع الإسلام ، وهو في انتظار الجديد من تعليماته ﷺ [١]، فأجابه الرسول ﷺ برسالة يعلمه من خلالها بوصول كتابه الحاوي لنبأ إسلام أهل نجران ويأمره بالعودة إلى المدينة ، وبصحبته وفد من مسلمي نجران [٢] .

فلما وصل كتاب رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد ، أخبر بني الحارث بن كعب برغبة رسول الله ﷺ بمقابلة وفدهم فشكلوا الوفد من أشرافهم ، ثم جاء خالد إلى المدينة وبرفقته وفد نجران [٣] ، ويمدنا الطبري بأسماء أعضاء الوفد النجراني وكان

---

(١) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ ، ابن هشام ، جـ ٤ ص ٢٣٩ وما بعدها . انظر نص الرسالة التي أرسلها الرسول ﷺ إلى خالد بن الوليد في ملحق رقم (٣) في نهاية هذا الكتاب .

(٢) ابن سعد ، جـ ١ ص ٣٣٩ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٦ – ١٢٧ . انظر نص الكتاب في الملحق رقم (٣) .

(٣) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ .

عددهم ستة أشخاص هم : قيس بن الحصين بن يزيد بن قنان ذي الغصة [١] ، ويزيد ابن عبد المدان الحارثي ، ويزيد بن المحجل ، وعبد الله بن قريظ الزيادي ، وشداد بن عبد الله القناني ، وعمرو بن عبد الله الضبابي [٢] ، فلما رآهم الرسول ﷺ قال : ((**من هؤلاء القوم الذين كأهم رجال الهند ، قيل يا رسول الله ، هؤلاء بنو الحارث بن كعب**)) [٣] ، وربما شبههم الرسول ﷺ برجال الهند بسبب سمرة بشرهم أو بسبب ملابسهم وأزيائهم التي يرتدوها ، أو بهما معاً .

وعندما وقفوا أمام الرسول ﷺ سلموا عليه ، ثم قالوا : ((**نشهد أنك رسول الله وأن لا إله إلا الله ، فقال رسول الله : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، ثم قال رسول الله ﷺ أنتم الذين إذا زجروا استقدموا ! فسكتوا ، فلم يراجعه منهم أحد** [٤])) ثم أعاد الرسول ﷺ عليهم هذه العبارة أربع مرات ، وهم لا يردون عليه ، وفي الرابعة قال يزيد بن عبد المدان : ((**نعم يا رسول الله ، نحن الذين إذا زجروا استقدموا**)) [٥] . قالها أربع مرات فقال رسول الله ﷺ : ((**لو أن خالد ابن الوليد لم يكتب إلي فيكم أنكم أسلمتم ، ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم**)) [٦] .

---

(١) سمي بذي الغصة ، لغصة كانت تعتريه في حلقه حين يتكلم ، وكان فارساً من ذوي الرباع ، أي الذين كانوا يأخذون ربع الغنيمة التي يغنمها قومه في حروبهم مع غيرهم حضرها أم لم يحضرها. انظر ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ ، دلال، ص ١٢٥ ، حاشية (٢) .

(٢) الطبري ، جـ ٣ ص ١٢٧ ، وللمزيد انظر ابن سعد ، جـ ١ ص ٣٣٩ ، المسري ، ص ٥٤ وما بعدها ، جواد علي ، جـ ٤ ، ص ١٨٨ وما بعدها .

(٣) الطبري ، جـ ٣ ص ١٢٧ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠ .

(٤) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠ ، انظر ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٣٩ – ٢٤٠ .

(٥) انظر الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ – ١٢٨ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠ – ٢٤١ . ويقصد بالزجر هنا ، أي نوع من الكهانة والعيافة ، والزجر للطير هو التيمن والتطير فيها والتفاؤل بها . انظر ، ابن منظور ، جـ ٦ ، ص ٢١ ، فعل " زجر " . وعادة الكهانة كانت من العادات السائدة عند العرب قبل الإسلام ، ويتضح من سياق الحديث إنها كانت موجودة عند أهل نجران.

(٦) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٧– ١٢٨ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠– ٢٤١ .

ويتضح من هذا اللقاء الذي حدث بين الرسول ﷺ ووفد نجران ، ومن العبارات التي دارت بينهما بأن الرسول ﷺ كان غاضباً عليهم وبخاصة ما ورد في العبارة الأخيرة . ولا ندري ما هو السبب ، فان كان غضب الرسول ﷺ بأنهم كانوا يعملون بالزجر والكهانة ، فهذا لم يكن غريباً على الرسول ﷺ وإنما كان يعرف أن هذه العادات كانت سائدة عند العرب قبل الإسلام ، وإن كان غضبه بأن الوفد لم يتجاوب معه عندما سألهم لأول مرة ، ولم يردوا عليه إلا بعد أن سألهم أربع مرات ، ثم ردوا عليه إجابتهم أربع مرات أيضاً ، فهذا الأمر حدث مرات عديدة مع الرسول ﷺ ، بل كان هناك من عرب الجزيرة من يأتي إلى النبي الكريم ويهاجمه بالكلام ويشتد عليه في القول ، والرسول ﷺ كان ليناً رفيقاً في معاملته وتجاوبه مع مثل أولئك [١] .

ونجد ابن هشام ، والطبري ، وابن كثير يوردون هذا الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وبين وفد نجران ، دون أن يذكروا سبب غضب النبي ﷺ [٢] ، في حين أن بعض المصادر التاريخية الأخرى قد أشارت إلى سرية خالد بن الوليد إلى اليمن ، وإلى هذه المقابلة مع الرسول ﷺ مع تجنب ذكر هذا الحوار الذي يتصف بشدة اللهجة في كلام الرسول ﷺ ، وربما أن هذه المصادر شكت في صحة إسناد هذا الحوار إلى رسول الله ﷺ أو إنها تحاشت ذكره ، فاليعقوبي وابن خلدون ذكرا بعض تفاصيل تلك السرية ، وذلك اللقاء ، لكنهما لم يوردا الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ ووفد نجران [٣] . كذلك ابن سعد في الطبقات

---

(١) ونجد القرآن يذكر آيات كثيرة يوضح فيها لين الرسول ﷺ مع المسلمين ، أثناء قيامه بالدعوة قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ سورة آل عمران ، آية (١٥٩) .

(٢) ابن هشام ، جـ ٤، ص٢٤٠ – ٢٤١، الطبري ، جـ٣ ، ص ١٢٧– ١٢٨، ابن كثير ، البداية مج ٣ ، جـ٥، ص ٨٨ – ٨٩ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٧٩ ، ابن خلدون ، تاريخ جـ ٢ ، ص ٤٧٣ .

لم يشر إلى هذا الحوار ، مع أنه ذكر أن رسول الله ﷺ أكرم وفد نجران ووزع عليهم الجوائز ، فأعطى كل واحد منهم عشر أواقٍ ، ما عدا قيس بن الحصين فأعطاه اثني عشر أوقية ، وجعله أميراً عليهم (١). وابن الأثير ، الذي يعتمد في نقله على الطبري ، تجنب أيضاً ذكر هذا الحوار مع أنه أشار إلى حديث الرسول ﷺ مع هذا الوفد (٢).

وإذا كان الطبري ، وابن هشام ، وابن كثير هم الذين تحدثوا عن هذا اللقاء والحوار بين الرسول ﷺ ووفد نجران (٣) ، فنجد أنهم يواصلون بقية الحوار ، بعد أن رد عليهم الرسول ﷺ رداً فيه عنف وحدة ، فقال يزيد بن عبد المدان : ((**أما والله يا رسول الله، ما حمدناك ولا حمدنا خالداً ، فقال رسول الله ﷺ فمن حمدتم ؟ فقالوا : حمدنا الله الذي هدانا بك يا رسول الله ، قال : صدقتم**)) (٤).

وقد عرف بنو الحارث في الجاهلية بالشجاعة والإقدام ، وشدة البأس ، والصبر في الحروب ، فما حاربهم أحد إلا انتصروا عليه ، كذلك اشتهروا بالكرم ، والعدالة ، وطيب الأخلاق والتعاون فيما بينهم ، والرسول ﷺ يعرف ما تواتر عنهم من تلك الصفات فأراد أن يقف على ذلك بنفسه ويعرف سر انتصاراتهم في الحروب ، فواصل الحديث معهم بقوله ((**بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحداً فقال رسول الله ﷺ بل**

---

(١) انظر ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٣٩ – ٣٤٠ .
(٢) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ص ١٩٩ – ٢٠٠ .
(٣) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٨ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠ ، ابن كثير ، البداية ، مـج٣ ، جـ ٥ ص ٨٩ .
(٤) المصادر نفسها .

قد كنتم تغلبون من قاتلكم ، قالوا : يا رسول الله، كنا نغلب من قاتلنا ، أنا كنا بني عبيد ، وكنا نجتمع ولا نتفرق ، ولا نبدأ أحداً بظلم ، قال : صدقتم)) [٥].

ومن هذه العبارات التي قالها وفد نجران للرسول ﷺ تتضح لنا عدة دروس منها :

أ - علم الرسول ﷺ بما كان يتصف به أهل نجران من صفات حميدة حث عليها الإسلام ، لهذا أصر على سؤالهم واشتد معهم في القول حتى يتأكد من تواتر هذه الصفات فيهم ، وبخاصة في انتصاراتهم ضد أعدائهم .

ب - أراد الرسول ﷺ أن يسمع المسلمون إجابة هؤلاء القوم ، الذين كانوا عصبة واحدة فلا يتفرقون ، بل يتغلبون على مشاكلهم الداخلية من أجل الوحدة والتكاتف فيما بينهم حتى يتصدوا لأعدائهم ، ومن يتربص بهم الدوائر ، ثم إنهم كانوا أصحاب عدل واستقامة ، فلا يسعون إلى ظلم أحد ، وهذه قيم رفيعة اتصفوا بها في الجاهلية فسادوا ، وعندما جاء الإسلام نادى بها وحث جميع المسلمين على الاتحاد والتكاتف فيما بينهم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، كما حذر الإسلام من الظلم ، وأخذ حقوق الناس بالباطل وحث المسلم على العدل والاستقامة في أموره كلها .

---

(٥) المصادر نفسها .

٢ - عمال الرسول ﷺ في نجران

وقد عاد وفد نجران إلى بلاده بعد زيارته للمدينة المنورة ومقابلة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، واختلفت المصادر بدورها في تحديد زمن المغادرة فنجد بعض المؤرخين أشاروا بأنهم غادروا آواخر شهر شوال ، بينما نجد آخرين ذكروا عودهم في أوائل ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة [(١)] .

وكعادة الرسول ﷺ مع الوفود التي قابلته كان يعين عليهم أميراً منهم يقوم على أمر البلاد بعد دخولها الإسلام فأمّر – كما أسلفنا – على الوفد النجراني قيس بن الحصين بن يزيد بن قنان ذي الغصة [(٢)] ، ولم يكتف الرسول ﷺ بذلك فقد كان يعلم مدى حاجة النجرانيين إلى من يبصرهم بدينهم ويفقههم في تعاليمه ويفسر لهم ما جاء في الكتاب والسنة من التعاليم ، وكيفية أخذ الصدقات ، وإقامة الحدود بين الناس ، فندب لهذه المهمة أحد صحابته (رضوان الله عنهم) وهو عمرو بن حزم الخزرجي الأنصاري ، ويرافقه شخص آخر من بني النجار ، وأرسلهما إلى نجران ، وكان سن عمرو بن حزم عند إرساله لهذه المهمة سبع عشرة سنة، وكان يتمتع بالذكاء والفطنة، وسعة العلم بأمور الدين والتفقه فيه[(٣)].
وقد زوده رسول الله ﷺ بكتاب إلــى أهل نجران ، قال فيه ((**بسم الله الرحمن الرحيم . هــذا بيان من الله ورسوله : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ عقدٌ من محمد النبيّ لعمرو بن حَزْم حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله في أمره**

---

(١) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٨ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠ ، ابن كثير ، البداية ، مج ٣ ، ص ٥ ، ص ٨٩ .
(٢) المصادر نفسها .
(٣) البلاذري ، انساب ، جـ ١ ، ص ٥٣٨ – ٥٣٩ ، شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ١٨ .

كله ، فإنّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحقّ كما أمر به الله وأن يبشّر الناس بالخير ، ويأمرهم به ، ويعلّم الناس القرآن، ويفقّههم في الدين ، وينهى الناس ولا يمسّ أحد القرآن إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذي لهم ، وبالذي عليهم ، ويلين للناس في الحقّ ، ويشتدّ عليهم في الظلم ، فإنّ الله عزّ وجلّ كره الظلم ونهى عنه وقال : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ ويبشِّر الناس بالجنة وبعملها ، ويُنذر بالنار وبعملها ، ويستألف الناس حتى يتفقهوا في الدين ، ويعلم الناس معالمَ الحجّ وسنَّته وفريضته ، وما أمر الله به في الحج الأكبر والحج الأصغر ، وهو العُمْرة ، وينهَى الناس أن يصلي أحدٌ في ثوب واحد صغير ، إلا أن يكون ثوباً واحداً يثني طَرَفه على عاتقه ، وينهى أن يحتبي أحد في ثوب واحد يُفضي بفرجه إلى السماء ، وينهى ألا يعقص أحد شعر رأسه إذا عفا في قفاه ، وينهى إذا كان بين الناس هَيْجُ عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له ، فمن لم يدعُ إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطَّعوا بالسيف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ، ويمسحون برؤسهم كما أمرهم الله عزّ وجلّ ، وأمره بالصلاة لوقتها ، وإتمام الركوع والخشوع ، ويغلس بالفجر ، ويهجر بالهاجرة حين تَميل الشمس ، وصلاة العصر والشمسُ في الأرض مدبرة ، والمغرب حينَ يقبل الليل ، ولا تؤخَّر حتى تبدوَ النجوم في السماء ، والعشاء أوّل الليل . ويأمر بالسَّعي إلى الجمعة إذا نودي لها ، والغسل عند الرّواح اليها ، وأمره أن يأخذ من الغنائم خُمسَ الله وما كتب على المؤمنين في الصدقة من العقار عُشْر ما سقى البعل وما سقت السماء ومما سقى الغرب نصف العشر ، وفي كلّ عشر

من الإبل شاتان ، وفي كلّ عشرين من الإبل أربع شياه ، وفي كلّ أربعين من البقر بقرة ، وفي كلّ ثلاثين من البقر تبيع جَذَعٌ أو جَذَعَةٌ ، وفي كلّ أربعين من الغنم سائمةٌ شاةٌ ، فإنها فريضة الله التي افترض الله عزّ وجلّ على المؤمنين في الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خيرٌ له ، وأنه مَنْ أسلم من يهوديّ أو نصرانيّ إسلاماً خالصاً من نفسه ، ودانَ دين الإسلام فإنه من المؤمنين ، له مثل ما لهمْ وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيّته أو يهوديّته فإنه لا يُفْتَن عنها ، وعلى كلّ حالم ذكر أو أنثى ، حرّ أو عبد ، دينارٌ وافٍ أو عَرْضه ثياباً ، فمن أدى ذلك ، فإن له ذمّة الله وذمّة رسوله ، ومَن منع ذلك فإنه عدوٌّ لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً)) [1] .

ونستخلص من هذا الكتاب عدة أمور مهمة كان الرسول ﷺ يقصد تحقيقها من وراء إرساله هذا الكتاب لعامله في نجران نذكر منها :

أ - رسم خطة عمل واضحة لمبعوثه إلى نجران ، عمرو بن حزم رضي الله عنه كي يسير عليها ، فيحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ب - أدرك الرسول ﷺ أن الفترة التي قضاها الوفد النجراني في ضيافته بالمدينة المنورة لم تكن كافية لكي يلموا تماماً بشرائع الإسلام ويضطلعوا بدورهم الجديد ألا وهو نشر العقيدة الإسلامية بين أهلهم وذويهم ، فكان لا بد من رسالة تفصيلية لعامله بنجران عمرو بن حزم تساعده على إرساء التشريعات والتنظيمات الإسلامية الواجب اتباعها ليسير أهل نجران في حياتهم على ضوئها.

---

(١) انظر نص هذا الكتاب ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ – ٢٤٢ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٨ – ١٢٩ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٣ – ٤٧٤ . حميد الله ، ص ٢٠٧ – ٢٠٨ .

ج - حرص الرسول ﷺ على إقامة العدل بين أفراد المجتمع النجراني ، بصرف النظر عن مللهم ، فمن اعتنق منهم الإسلام لا بد أن يسير على ما هم عليه المسلمون في دينهم ودنياهم ، أما أهل الديانات الأخرى ، كالنصارى واليهود فما داموا ملتزمين بالعهود المعقودة مع المسلمين فإن لهم ذمة الله وذمة رسوله ، وعندما ينحرفون عن المواثيق التي لهم وعليهم ، فإنهم يصبحون أعداء لله ولرسوله وللمؤمنين .

وكان عمرو بن حزم على صلة وثيقة بالرسول ﷺ فيخبره بسير الأمور في نجران ، بل يستمد من الرسول ﷺ التشريعات والتوجيهات التي تنير له سبيله ، بل إنه كان يطلعه على أحواله الخاصة ، فيذكر أنه بعث إليه ذات مرت رسالة يخبر رسول الله ﷺ أنه رزق بمولود ذكر سماه " محمد " تيمناً برسول الله ﷺ، وكناه بأبي سليمان ، فرد عليه رسول الله ، وقال له : بل كنه بأبي عبد الملك ، وظل عمرو بن حزم عاملاً على نجران إلى أن توفي رسول الله ﷺ وهو لا يزال عليها [(١)] .

ولم يقتصر الرسول ﷺ في دعوة أهل نجران ومن حولهم من قبائل اليمن على تلك السرية التي أرسلها تحت قيادة خالد بن الوليد [(٢)] وإنما حث خالد بن الوليد أن يتوغل في أرض اليمن الواقعة إلى الجنوب من بلاد نجران ، وقد فعل ذلك ، واستمر يدعوهم إلى الإسلام لمدة ستة أشهر، لكنهم لم يتجاوبوا معه، وبقوا على وثنيتهم [(٣)]، فأرسل الرسول ﷺ سرية أخرى بقيادة علي بن أبي

---

(١) انظر ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٣٠ ، البلاذري ، انساب ، جـ ١ ، ص ٥٣٨ – ٥٣٩ ، جواد علي ، جـ ٤ ، ص ١٩١ .حميد الله ، ص ٢١١ .

(٢) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٦ ، ابن سعد ، جـ ١ ص ٣٣٩ ، ابن هشام ، ج٤ ، ص ٢٣٩ .

(٣) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٩ – ١٣٠ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٥ ، جواد علي ، جـ ٤ ، ص ١٨٩ وما بعدها .

طالب إلى اليمن ، وأمره أن يعود خالد بن الوليد ومن معه إلى المدينة ، وإن أراد أحد من رجال خالد بن الوليد البقاء مع سريته – يقصد علي بن أبـي طالب – فليتركه [(١)] . وعندما سمعت قبائل اليمن بمسيرة علي بن أبي طالب نحوها استعدت لقتاله ، وعند وصوله أوائل بلاد اليمن ، جمع رجاله فصلى بهم ، ثم حثهم على قتال المشركين ، ومن يحارب الله ورسوله من أهل اليمن ، ثم واجه بعض القبائل اليمنية ، فأنذرها ، وقرأ عليهم كتاب النبي ﷺ فأسلمت همدان كلها في ذلك اليوم [(٢)] ، فكتب علي بن أبي طالب إلى النبي ﷺ يخبره بإسلام همدان ، فحمد النبي ﷺ الله وأثنى عليه ، وخر ساجداً شكراً لله ، ثم جلس وقال : السلام على همدان ثلاث مرات [(٣)] .

ويتضح لنا من ذلك أن الرسول ﷺ كان حريصاً على أن يتوغل الإسلام في أرض اليمن وغيرها وصولاً لتحقيق عالمية الإسلام ، فلم يقتصر على دخول أهل نجران في الإسلام ، وإنما كان ذلك بمثابة مرحلة أولى في طريق دخول الإسلام إلى كل أصقاع اليمن حيث نراه يعقب على سرية خالد بسرية جديدة على رأسها علي بن أبي طالب بعد أن تعسر على خالد إقناع اليمنيين في جنوب نجران بالدخول في الإسلام ، فنجحت هذه الدماء الإسلامية الجديدة في إدخال همدان سلماً في الإسلام .

---

(١) الطبري،جـ٣، ص١٣٢،ابن الأثير، الكامل جـ٢، ص٢٠٥، قال الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب: ((مر أصحاب خالد من شاء منهم يعقب معك فليعقب، ومن شاء فليقبل ...)) ابن كثير، البداية ، مج ٣، جـ٥، ص٩٣

(٢) للمزيد عن قبيلة همدان ، انظر ، ابن الكلبي ، نسب معد ، جـ ٢ ، ص ٥٠٩ وما بعدها ، ابن حزم ، ص ٣٩٢–٣٩٥ ، ٤٧٥ وما بعدها ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٤٠ وما بعدها ، الهمداني ، صـفة ٩٦ – ١٠٥ ، ٢١١ – ٢١٤ ، ٢٤٦ – ٢٤٩ .

(٣) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٣٢ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٥ . للمزيد ، انظر ابن كثير ، البدايـة ، مج ٣ ، ص ٩٤ .

كما أرسل الرسول ﷺ علي بن أبي طالب في مهمة أخرى بالسنة العاشرة أيضاً ، وكانت إلى أهل نجران [(١)] ليجمع الصدقات من المسلمين ، ويأخذ الجزية من أهل الذمة وتذكر بعض المصادر أن النصارى هم أول من دفع الجزية من أهل الذمة في بلاد العرب [(٢)] .

وبعد أن أتم علي بن أبي طالب ﷺ مهمته في بلاد نجران ومن بينها جمع الصدقات من مسلمي نجران وكذلك الجزية من أهل الذمة عاد بجيشه إلى المدينة ، وكان قد وصله الخبر بقدوم الرسول ﷺ إلى مكة لأداء فريضة الحج ، وهي حجة الوداع ، قال ابن هشام والطبري [(٣)] : ((**لما أقبل علي رضي الله عنه من اليمن ليلقي رسول الله ﷺ بمكة ، تعجل إلى رسول الله ﷺ واستخلف**

---

(١) ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٧ ، ابن خياط ، ص ٩٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٠٥ . ابن حجر ، فتح الباري ، جـ ١٦ ، ص٢١٩ . وكان الرسول ﷺ حريصاً على تزويد عماله بالتعليمات الشرعية الأساسية التي يسيرون عليها ، فنجده يزود معاذ بن جبل ببعض تلك النصائح والتعليمات عندما أختاره عاملاً على اليمن ، فيقول له : " إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعو لك بذلك ، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعو لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم اطاعوك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإن ليس بينها وبين الله حجاب " ، انظر ابن كثير ، البداية ، مج٣ ، جـ ٥، ص٩٠ . وللمزيد عن رحلة معاذ بن جبل من حاضرة الدولة الإسلامية (المدينة المنورة) إلى الطائف ثم بلاد السراة إلى نجران حتى دخل صنعاء ، انظر ابن سمرة الجعدي ، ص ١٧ ، ١٨ ، عمارة الحكمي ، اليمن (تحقيق الأكوع) (القاهرة) (١٣٩٦هـ/١٩٧٦ م) ص ٧٢ ، الأشرف الرسولي ، ص١٢ ، الجندي ، جـ١، ٢٥ ، ٢٧ ، الهمداني ، صفة ، ص ١٤٤ .

(٢) ثم جاء بعدهم في دفع الجزية نصارى أيلة وأذرح ببلاد الشام أثناء غزوة تبوك في السنة العاشرة للهجرة، للمزيد انظر ، ياقوت ، جـ١ ، ص ١٢٩ ، ٢٩٢ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٩ . كما يتحدث الهمداني عن المذاهب الدينية التي ظهرت في اليمن بعد ظهور الإسلام فيذكر أن أهله ينقسمون إلى ثلاث ملل : ثلث يهود، وثلث نصارى، وثلث مسلمين . والمسلمون منهم ينقسمون بدورهم إلى ثلاثة مذاهب : ثلث شافعية، وثلث زيدية ، وثلث مالكية ، انظر ، المسري ، ص ٥٩ (نقلاً عن الهمداني) .

(٣) ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٥٠ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٤٩ .

على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه ، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذي كان مع علي ﷺ فلما دنى جيشه خرج ليلقاهم ، فإذا عليهم الحلل [١] ، **قال : ويلك ما هذا ؟ قال : كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس ، قال : ويلك انزع قبل أن تنتهي به إلى رسول الله ﷺ قال فانتزع الحلل من الناس فردها في البز** [٢])) ثم قال إن هذا العمل لا يرضاه رسول الله ﷺ ، وعندما التقى الجيش برسول الله ﷺ اشتكوا له علياً وما صنع معهم ، فقام الرسول ﷺ في الناس خطيباً ثم قال : ((**أيها الناس ، لا تشتكوا علياً ، فوالله إنه لأخشن في ذات الله ، أو في سبيل الله ، من أن يُشكى** [٣])) وبهذا فقد شهد الرسول ﷺ لعلي ابن أبي طالب بالعدل والاستقامة في دينه ، وأن ما قام به من عمل يرضي الله ورسوله .

---

(١) الحلل ، جمع "حلة " ويقال : الحلة رداء وقميص وتمامها العمامة ، كما أن الثوب الجيد يقال له في الثياب حلة ، ويقال أيضاً الحلل : الوشي ، والحبرة ، والخز ، والقز ، والقوهي ، والمروي ، والحرير ، كما أن الحلة كل ثوب جيد جديد تلبسه غليظ أو رقيق ، ولا يكون إلا ذا ثوبين ، ويقصد بالحلة أيضاً القميص و الإزار ، والرداء فلا تكون أقل من هذه الثلاثة . ويذكر أن الحلل برود اليمن ولا تسمى حلة حتى تكون من ثوبين ، وقيل ثوبين من جنس واحد ، وبالتالي فالحلل التي لبسها جيش علي بن أبي طالب من برد اليمن وهي تحتوي على ثوبين ، يقول الشاعر :

لَيْسَ الفتَىَ بِالُمسَمَّنِ الُمخْتَالِ وَلاَ الذّي يَرْفُلُ فِي الْحُلَلْ

انظر ، ابن منظور ، جـ ٣ ، ص ٣٠٢ – ٣٠٣ .

(٢) ابن هشام ، جـ٤ ، ص٢٥٠ ، كما أن الطبري أورد هذه الرواية مع اختلاف بسيط في العبارات ، جـ٣ ، ص١٤٩

(٣) المصادر نفسها ، وللمزيد انظر ، ابن كثير ، البداية ، مج ٣ ، جـ ٥ ، ص٩٥ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٢، ص ٢٠٥ .

وتذكر المصادر أن علي بن أبي طالب قد قدم مبعوثاً من الرسول ﷺ إلى اليمن ثلاث مرات [١] ، الأولى كانت إلى نجران لجمع الصدقات من المسلمين ، والجزية من أهل الذمة ، وكان برفقته بعض الصحابة : أمثال البراء بن عازب الأنصاري ، وخالد بن الوليد ، وبريدة بن الخصيب الأسلمي [٢] ، أما السفارة الثانية فكانت في السنة العاشرة قبل حجة الوداع ووصل فيها إلى نجران وصعدة ثم صنعاء وقد شيد هناك مسجداً عرف باسمه [٣] ، والسفارة الثالثة والأخيرة وصل فيها إلى عدن أبين ، وقد خطب على منبرها خطبة بليغة [٤] . وقد ترك تردد علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) على اليمن ، وما نتج عن ذلك من انتشار الإسلام بين قبائل اليمن لا سيما همدان ، وما بذله في سبيل نشر العقيدة الإسلامية السمحاء بين ربوعها ، كل ذلك ترك انطباعاً جيداً في نفوس أهل اليمن ، فقد أحبوه وارتبطوا به ارتباطاً معنوياً عميقاً ، وقد استمر هذا الحب والولاء لعلي بن أبي طالب وأهل بيته من بعده ، ولعل ذلك من الأسباب التي ساعدة على سهولة دخول المذهب الزيدي وانتشاره في أنحاء اليمن ، وبخاصة في المناطق الشمالية والوسطى منه ، والتي تردد عليها عليّ وأقام فيها أثناء مقامه باليمن ، وهذا ينهض دليلاً قوياً على حب أهل اليمن وولائهم للعلويين [٥] .

---

(١) ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٥٠ ، المسعودي ، التنبيه ، ص ٢٥٥ . ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٠٥ ، ابن كثير ، البداية ، مج ٣ جـ ٥ ، ص ٩٤ وما بعدها ، حميد الله ، ص ١٦٧ ، وللمزيد انظر ، الحرازي ، ص ١٣ ، المسري ، ص ٦٠ .

(٢) المصادر والمراجع نفسها ، وللمزيد انظر شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ١٤ .

(٣) الحرازي ، ص ١٤ ، المسري ، ص ٦٠ .

(٤) المصادر نفسها .

(٥) العلويون : نسبة إلى أحد أحفاد على بن أبي طالب ، ويدعى زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب ، وللمزيد عن انتشار المذهب الزيدي في اليمن ، انظر شرف الدين ، اليمن ، ص ٢٤٥ – ٢٦٢ ، للمؤلف نفسه ، تاريخ الفكر ، ص ١٠٥ – ١٣٤ .



٣ – نصارى نجران وأوضاعهم في عصر النبوة :

أما نصارى نجران ، الذين ظلوا على مسيحيتهم [(١)] ، ولم يدخلوا في الإسلام مع من دخل من أهل نجران ، فقد بعث إليهم الرسول ﷺ كتاباً موجهاً إلى أساقفتهم ، قال فيه : ((**باسم الله ، من محمد رسول الله إلى أساقفة نجران : باسم الله ، فإني أحمد إليكم إله إبراهيم ، وإسماعيل، وإسحاق ، ويعقوب ، أما بعد: ذلكم فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، فإن أنتم أبيتم فالجزية ، وإن أبيتم آذنتكم بالحرب والسلام**)) [(٢)] .

ويتضح من هذا الكتاب أن الرسول ﷺ بين لهم ما يجب عمله ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، وترك عبادة ما سواه ، فإن لم يرضوا بهذا المطلب النبيل فإن عليهم دفع الجزية عن يد وهم صاغرون ، فإن امتنعوا عن هذا أيضاً فليس بينهم وبينن المسلمين إلا الحرب حتى يذعنوا لواحد من هذين الشرطين .

وبعد وصول كتاب رسول الله ﷺ إلى نصارى نجران ، وعلموا وتأكدوا جدية الرسول ﷺ في مطلبه ، وبالتالي اجتمعوا وتشاوروا فيما بينهم ، ووصلوا في نهاية اجتماعهم إلى إرسال وفد من أعيانهم إلى الرسول ﷺ ليناقشوه ويعرفوا حقيقة الأمور منه بشكل مباشر [(٣)] .

---

(١) يذكر أن المسيحية لم تنتشر في أهل نجران خاصة ، وأهل اليمن عامة إلا في قلة من الناس ، والدليل على ذلك أن الكتاب المقدس لم يترجم إلى العربية في عصر ما قبل الإسلام ، بينما ترجم إلى لغات البلاد التي انتشرت فيها المسيحية انتشاراً واسعاً ، وهذا مما يؤكد على أن كنيسة نجران وغيرها من الكنائس في اليمن استخدمت اللغة العربية ، وربما أنها استخدمت السريانية أو العبرية . انظر الفقي ، ص ٢٥٣، عابدين ، ص ٩٤ – ٩٧ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨١ ، الفقي ، ص ٢٥٤ ، الشجاع ، ص ١٣٦ – ١٣٨ .

(٣) ابن سعد ، جـ١ ، ص ٣٥٧ ، المسعودي ، التنبيه ، ص ٢٥٥ . ابن خلدون ، تاريخ ، جـ٢ ، ص ٤٧٧ .

وقد اختلفت المصادر في ذكر عدد أفراد وفد نصارى نجران ، فمنهم من قال إن عددهم أربعة عشر رجلاً من رؤسائهم وأشرافهم (١) ومنهم من قال بأن عددهم ستون (٢) ، وآخرون قالوا أربعون (٣)، وابن خلدون يشير إلى أن عددهم سبعون نصرانياً (٤) .

والاختلاف الذي وقع فيه المؤرخون حول عدد أفراد هذا الوفد ، غير ذات أهمية ، والمهم أنهم جميعاً أجمعوا على خروج وفد نجران النصراني إلى المدينة لأجل مقابلة الرسول ﷺ ، بل إنهم قد ذكروا بعض أسماء الوفد ، مثل أميرهم العاقب ، واسمه عبد المسيح من قبيلة كندة ، وأسقفهم وزعيمهم الروحي أبو الحارث بن علقمة (٥)، واخيه كرز بن علقمة من قبيلة بني الحارث (٦)، وصاحب إدارة شؤونهم المالية ، السيد بن الحارث (٧) وأخيه أوس ، وعدد آخر ورد ذكرهم في بعض المصادر التي أشارت إلي هذا الوفد (٨) .

ويبدوا أن بعض أفراد هذا الوفد كان عالماً بصحة نبوة الرسول ﷺ فهذا هو زعيمهم الروحي أبو الحارث بن علقمة يعترف لأخيه كرز بن علقمة بشكل واضح وصريح بذلك ، يترجم له ابن سعد في طبقاته فيقول عنه : ((**كان أسقفهم وإمامهم ،**

---

(١) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٧ ، انظر أيضاً ، ابن حجر ، الاصابه ، جـ ٤ ، ص ٣٠٩ .
(٢) الذهبي ، تاريخ ، جـ ١ ، ص ٥٧٨ .
(٣) حميدالله ، ص١٨٣، انظر أيضاً ابن كثير، التفسير، جـ١، ص٣٧٦ وما بعدها، الغامدي ، ص٢٢٤-٢٣٩
(٤) ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٧ ، للمزيد انظر الغامدي ، ص ٢٢٤ وما بعدها .
(٥) ابن سعد ، جـ١ ، ص ٣٥٧ ، ويذكر ابن خلدون في تاريخه ، أن اسمه أبو حارثة بن بكر بن وائل ، جـ٢ ، ص ٤٤٧ ، العقيلي ، ص ٨٤ – ٨٥ .
(٦) المصادر والمراجع نفسها .
(٧) ابن سعد، جـ١، ص٣٥٧، ويذكر ابن خلدون، أن اسمه أيضاً الأيهم، والسيد معاً، تاريخ ، جـ٢، ص ٤٧٧.
(٨) انظر ابن سعد ، الطبقات ، جـ١ ، ص ٣٥٧ ، الذهبي ، تاريخ ، جـ١ ، ص ٥٧٨ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ٢، ص٤٧٧ ، ابن حجر ، الإصابة ، مج٣ ، جـ ٥ ، ص ٢٩٩ ، ابن كثير ، التفسير ، جـ١ ، ص ٣٧٦.

وصاحب مدارسهم ، وله فيهم قدر ، فعثرت به بغلته [١] ، فقال أخوه : تعس الأبعد ، يريد رسول الله ﷺ فقال أبو الحارث بل تعست أنت ، أتشتم رجلاً من المرسلين ؟ إنه الذي بشر به عيسى ، وإنه لفي التوراة ، قال : فما يمنعك من دينه ؟ قال : شرفنا هؤلاء القوم ، وأكرمونا ، ومولونا وقد أبو إلا خلافه [٢] ، فحلف أخوه (كرز) ألا يثني له صعراً حتى يقدم المدينة فيؤمن به [٣] ومضى يضرب راحلته ويقول :

اَلَيْكَ يَغْدو قَلِقاً وضِينُها مُعْتَرِضاً في بَطْنِهَا جَنِينُها

مُخالِفاً دِينَ النّصَارى دِينُها [٤]))

ويتضح لنا من النص السابق أن أهل العلم من نصارى نجران يعلمون صحة ما ورد في كتبهم حول صدق نبوة الرسول محمد ﷺ ورغم ذلك لا يستطيعون الدخول في دين الإسلام ، وذلك لما لهم من صلات سياسية ، وعقدية واقتصادية مع إمبراطورية الروم التي نشرت المسيحية في بلاد اليمن عامة ، وفي بلاد نجران خاصة ، وبالتالي فإنهم جعلوا نصارى نجران مسؤولين عن الدفاع عن النصرانية في بلادهم وما حولها ، ومقابل ذلك فإنهم كانوا يغدقون عليهم العطايا والمنح المتنوعة من أجل الحصول على ولائهم ، والبقاء تابعين لهم سياسياً وعقدياً ، وذلك يتضح في عبارة أبي الحارث، عندما قال عن الروم : ((**شرفنا هؤلاء القوم ، وأكرمونا ، وقد أبو إلا خلافه** [٥])) .

---

(١) وهم في طريقهم مع بقية الوفد متجهين إلى الحجاز لمقابلة الرسول ﷺ ، انظر ابن سعد جـ١ ، ص ١٦٥ .

(٢) يقصد الروم ، وللمزيد انظر ، ابن كثير ، التفسير ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ .

(٣) انظر ابن سعد ، جـ ١ ، ص ١٦٤– ١٦٥ ، وللمزيد انظر الذهبي ، تاريخ ، جـ ١ ، ص ٥٨٧ .

(٤) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ١٦٥ .

(٥) ابن سعد جـ ١ ، ص ١٦٥ وللمزيد عن علاقة نصارى نجران بالروم ، انظر ، عابدين ، ص ٤٩ وما بعدها ، جواد علي ، جـ ٣ ، ص ٤٤٩ وما بعدها ، عامر ، ص ٢٦ .

ونجد كرز بن علقمة يطلع على ضلال أخيه ، أبي الحارث ، ومخالفته للفطرة السليمة ، فيتركه ويسبقه ووفده إلى الرسول ﷺ فيدخل الإسلام ، وربما اكتشف بعض أعضاء الوفد وغيرهم من نصارى نجران تلك الحقيقة التي كان يعرفها أبو الحارث بن علقمة ، فنجدهم يتركون دين النصرانية ويدخلون دين الإسلام ، وأكبر دليل على ذلك ما فعله العاقب والسيد اللذان دخلا الإسلام بعد مقابلتهما للرسول ﷺ في المدينة المنورة .

وصل وفد نصارى نجران إلى المدينة بعد صلاة العصر والرسول ﷺ في المسجد ، وكان عليهم ثياب الحبرة [1] ، وأردية مكفوفة بالحرير ، وفي أعناقهم وأيديهم الصليب ، ثم أقاموا في المسجد يصلون نحو المشرق ، فعزم بعض أصحاب رسول الله ﷺ على منعهم ، فقال الرسول ﷺ دعوهم [2] . ويذكر ابن سعد أنهم جاءوا إلى الرسول ﷺ بهيئتهم الآنفة الذكر فأعرض عنهم ولم يكلمهم، فقال لهم عثمان بن عفان : ((**ذلك من أجل زيكم هذا**)) فانصرفوا ذلك اليوم ، وجاءوا اليوم الثاني وعليهم زي الرهبان [3] .

وكانوا قد اتصلوا ببيت المدارس لليهود ، والتقوا ببعض زعمائهم ، مثل : الكاهن اليهودي ، المسمى بن صوريا ، وكعب بن الأشرف ، وقالوا لهم : هذا الرجل — يقصدون الرسول ﷺ — عندكم منذ كذا وكذا قد غلبكم ، احضروا امتحاناً له غداً . معتقدين أن ائتلافهم مع اليهود قد يجعلهم أصحاب الرياده والتفوق عندما يغلبون الرسول ﷺ .

وعند مقابلتهم الرسول ﷺ دارت بينهم مناقشات عديدة حول السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، وحول الإسلام ، ثم دعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام فقال السيد والعاقب : ((**إنا قد أسلمنا قبلك ، فقال : كذبتما يمنعكما من الإسلام**

---

(١) الحبرة : يقال أنها ضرب من برد اليمن منمر الشكل ، وهي نوع من الألبسة الجيدة والغالية الثمن . ابن منظور ، جـ ٣ ، ص ١٦ – ١٧ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٢ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٧ .

(٣) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٧ – ٣٥٨ .

ثلاث ، أكلكما الخنزير ، وعبادتكما الصليب ، وقولكما لله ولد ، قالا فمن أبو عيسى، وكان الرسول ﷺ لا يعجل حتى يأمره ربه)) [١] ،ثم قال : هو عبد الله ورسوله، فقال أسقفهم أبو الحارث: ((تعالى الله عما قلت ، وهل رأيت ولد من غير ذكر [٢])) . ويورد ابن كثير بعض التفصيلات عن هذا اللقاء ، ويشير إلى أن الرسول ﷺ صمت و لم يجبهم عندما سألوه من هو أبو عيسى ، ويستطرد ابن كثير قائلاً : ((فأنزل الله في ذلك قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها ...)) [٣] حيث رد الله عز وجل سؤالهم للرسول ﷺ بقوله تعالى :﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ . إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [٤] . إلى قوله تعالى ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [٥]، يذكر ابن كثير في تفسير هذه الآيات، فلما أتى رسول الله ﷺ الخبر من الله والفصل بينه وبينهم ، وأمر بما أمر به من المباهلة [٦] ،

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ٧٥ ، وللمزيد ، انظر ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٧ . كما أن هناك بعض الإختلافات البسيطة في ذكر الرواية ، انظر ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٢ ، ابن كثير ، التفسير ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ –٣٧٧ .

(٢) انظر اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٢ ، الطبري ، مجمع البيان ، جـ ٢ ، ص ٩٩ ، الزمخشري ، تفسير ، جـ ١ ، ١٧٧ وما بعدها .

(٣) ابن كثير ، التفسير ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ .

(٤) سورة آل عمران ، الآيتان (٥٨ ، ٥٩) .

(٥) سور آل عمران آية (٦١) . انظر ، الزمخشري ، تفسير ، جـ ١ ، ص ١٧٨ .

(٦) المباهلة ، جاءت من فعل (بهل) البهل هو اللعن ، يقال بهله الله بهلاً أي لعنه ، وعليه بهلة الله أي لعنته ، ويذكر في حديث أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال : من ولي من امور الناس شيئاً فلم يعطهم كتاب الله ، فعليه بهلة الله " أي لعنته . والمباهلة هي الملاعنة ، ومعنى المباهلة أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا . ابن منظور ، جـ ١ ، ص ٥٢٢ .

وملاعنتهم ، فقالوا للرسول ﷺ : ((**يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا اليه ، ثم انصرفوا عنه** " [١] .

وتذكر بعض المصادر التاريخية إلى أن اليهود في المدينة كانوا يراقبون ويشاهدون تلك المناقشات التي دارت مع الرسول ﷺ ، عندما طلب نصارى نجران من الرسول ﷺ بعض الوقت ليفكروا في قبول المباهلة أو تركها ، بل كانوا فرحين بما وصل اليه الأمر ، ويودون هلاك الطائفتين ، وفي ذلك يقولون : ((**والله ما نبالي أيهما أهلك الله الحنفية أو النصرانية**)) .ومن هذا يتضح خبث اليهود ومكرهم لذاقم ، فلا يرغبون الحياة والعزة إلا لهم دون سواهم [٢] .

وبعد ذهاب نصارى نجران من عند رسول الله ﷺ اجتمعوا بالعاقب ، وكان صاحب رأي قاطع بينهم فقال : ((**يا عبد المسيح ماذا ترى ؟ فقال : والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسل ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم – يقصد عيسى** عليه السلام **– ولقد علمتم أنه ما لاعن نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم ، وإنه للاستئصال منكم أن فعلتم، فان كنتم أبيتم إلا ألف دينكم ، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم ، فوادعدوا الرجل ، وانصرفوا إلى بلادكم**)) [٣] .

ويورد اليعقوبي إلى أن وفد نجران قبلوا المباهلة مع الرسول ﷺ ، ولما جاء اليوم الثاني ، جاء رسول الله ﷺ آخذاً بيد سبطيه الحسن والحسين ، تتبعه فاطمة

---

(١) ابن كثير ، التفسير ، جـ ١ ، ص ٣٧٨ – ٣٧٧ ، انظر الزمخشري تفسير ، جـ ١ ، ص ١٧٨ .

(٢) والنصارى أقرب في مودقم للمسلمين من اليهود والمشركين قال الله تعالى ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ . سورة المائدة ، آية (٨٢) .

(٣) ابن كثير ، التفسير ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ – ٣٧٧ .

وعلي بن أبي طالب ﷺ ، وجاء العاقب والسيد بابنين لهما عليهما الدّر والحلي ، وقد التفوا بأبي الحارث ، فقال أبو الحارث : ((**من هؤلاء معه ؟ قالوا : هذا ابن عمه ، وهذه ابنته ، وهذان ابناه ، فجثا رسول الله ﷺ على ركبتيه ، ثم ركع ، فقال أبو الحارث : جثا والله كما يجثوا النبيون للمباهلة ، فقال له السيد : ادن يا أبا حارثة للمباهلة ، فقال اني أرى رجلاً جرياً على المباهلة وإني أخاف أن يكون صادقاً ، فإن كان صادقاً لم يحل الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الطعام**)) [(١)] .

ولهذا تراجعوا عن مباهلة الرسول ﷺ وقال أسقفهم أبو الحارث للرسول ﷺ لا نباهلك فأنت على دينك ونحن على ديننا فقال رسول الله ﷺ إذاً أبيتم المباهلة ، فأسلموا ، يكن لكم ما للمسلمن ، وعليكم ما عليهم ، فرفضوا ، فقال الرسول ﷺ إذاً أحاربكم ، فقالو : ((**نصالحك على أن لا تغزونا ، ولا تخيفنا ، ولا تردنا عن ديننا ، على أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة** [(٢)] ، **ألف في صفر وألف في رجب**)) ويذكر ابن كثير أنهم قالوا للرسول ﷺ : ((**يا أبا القاسم قد رأينا ألا نلاعنك ، ونتركك على دينك ، ونرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا فإنكم عندنا رضا ...**)) [(٣)] ، فقال الرسول ﷺ ((**أئتوني العشية أبعث معكم**

---

(١) انظر اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٢ – ٨٣ . ويورد الزمخشري أن أبو الحارث ، عندما رأى الرسول ﷺ يوم خرج للمباهلة قال : " يا معشر النصارى اني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لازاله بها ، فلا تباهلوا فتهلكوا ، ولا يبقى على وجه الارض نصراني إلى يوم القيامة " انظر الزمخشري ، تفسير ، جـ ١ ، ص ١٧٨ . ويذكر البلاذري انه قال : " احدهما لصاحبه – يقصد نصارى نجران – أصعد الجبل ولا تباهله فانك أن باهلته بؤت باللعنة ، قال فما ترى ، قال : أرى أن نعطيه الخراج ولا نباهله " البلاذري ، فتوح ، ص٧٥ – ٧٦ ، انظر أيضاً ابن الأثير ، الكامل جـ ٢ ، ص ٢٠٠ .

(٢) الحلة تساوي الأوقية ، ووزن الأوقية أربعين درهماً من الفضة ، انظر ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٦ .

(٣) الزمخشري ، تفسير ، جـ١ ، ص ١٧٨ ، للمزيد انظر البلاذري ، فتوح ، ص ٧٥ – ٧٦ ، ابن سعد جـ١ ، ص ٣٥٧ – ٣٥٨ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٧ – ٤٧٨ .

القوي الأمين)) [(١)] ، وعندما رأى أبو عبيدة عامر بن الجراح دعاه ثم قال له **((اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه))** [(٢)] .

وقَبِلَ الرسول ﷺ الصلح معهم ، وكتب بذلك كتاباً أوضح فيه شروط هذا الصلح ، وكان نصه كالآتي :**((بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما كتب النبي محمد رسول الله (ﷺ) لأهل نجران : إذا كان عليهم حُكمُه في كل ثمرة ، وفي كل صَفراء وبَيضاء ورقيق ، فأفضل ذلك عليهم ، وترك ذلك كله لهم ، على ألفي حُلة من حُلل الأواقي : في كل رجب ألف حُلة ، وفي كل صفر ألف حُلة ، كل حُلة أُوقية من الفضة . فما زادت على الخراج ، أو نَقَصَت عن الأواقي فبالحساب . وما قضوا من دروع ، أو خيل أو ركاب أو عروض أُخِذَ منهم بالحساب . وعلى نجران مؤنة رُسُلي ومتعتهم ، ما بين عشرين يوماً فما دون ذلك ، ولا تُحبَس رُسُلي فوق شهر ، وعليهم عارية ثلاثين درعاً ، وثلاثين فَرساً ، وثلاثين بعيراً ، إذا كان كيد باليمن ذو مغدرة** [(٣)] **. وما هَلك مما أعاروا رُسُلي من دروعٍ ، أو خيلٍ أو ركابٍ ، أو عروضٍ ، فهو ضمين على رُسُلي ، حتى يؤدُّوه إليهم . ولنجران وحاشيتها ، جِوار الله وذِمّة محمدٍ النبي رسول الله على أموالهم ، وأنفسهم ، وملّتهم ، وغائبهم ، وشاهدهم وعشيرتهم ، وبِيَعهم وكلِّ ما تحت أيديهم من قليل أو كثير . لايُغيّر أُسقُف من أُسقفيّته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته . وليس عليهم رُبِّيّة ولا دمُ جاهلية** [(٤)] **ولا**

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) ذو مغدرة ، أي إذا كان كيد بغدر منهم .

(٤) يقصد الربا الذي كان عليهم في الجاهلية والدماء التي كانوا يطلبون بها ، ابن منظور ، جـ ٥ ، ص ١٢٦ . فعل (ربا)

يُحشَرون ، ولا يُعشَرون ، ولا يطأ أرضهم جيش . ومن سأل منهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين . ومن أكل رباً من ذي قَبل فذمتي منه بريئة . ولا يؤخَذ رجل منهم بظلمِ آخر . وعلى ما في هذا الكتاب جوار الله ، وذمة محمد النبي رسول الله حتى يأتي الله بأمره ، ما نصحوا وأصلحوا ما عليهم ، غير مثقَلين بظُلم)) [١] .

وبالاطلاع على نصوص هذا الصلح نرى أن الرسول ﷺ وافق على عقد هذه الاتفاقية مع نصارى نجران على أن يبقوا على دينهم ، مقابل دفع الجزية ، ومقدارها الفا حلة ، قيمة كل حلة (٤٠) درهماً من الفضة ، وأن يتعاونوا مع المسلمين إذا وقعت لهم حروب في اليمن ، فيمدوهم ببعض الآلات الحربية دون الاشتراك معهم في الحرب ، كما حَرَّم عليهم الربا ، ولا يؤخذ أحد بخيانة غيره ، إلى ذلك من الشروط التي اشترطها الرسول ﷺ عليهم ، أو شرطها لهم [٢] .

ونلاحظ اختلاف بعض المصادر التاريخية في بعض تفاصيل هذا الصلح ، فالبلاذري أورد معظم النص المذكور أعلاه [٣]، يليه ابن سعد واليعقوبي اللذان أوردا الشروط مفصلة والتي ذكرها الرسول ﷺ له أو عليه مع نصارى نجران [٤] ، أما ابن الأثير وابن خلدون فقد اختصرا الاتفاقية اختصاراً شديداً ، فذكرا أنه عُقدت اتفاقية بين الرسول ﷺ وبين نصارى نجران ، ثم أشارا إلى

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص٧٦ ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص٨٣ ، ابن سعد ، جـ١ ، ص ٣٥٨ ، حميد الله، ص ١٧٥ – ١٧٦ . وهناك اختلاف بسيط في بعض عبارات هذا الكتاب ، انظر حميد الله ، ص ١٧٨– ١٧٩ .

(٢) حميد الله ، ص ١٧٥ – ١٧٦

(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٧٦ .

(٤) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٨ ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٣.

عدد الألفين حلة التي صالحهم الرسول ﷺ عليها مقابل أن يبقوا على دينهم ويحميهم من أي اعتداء يحل بهم ماداموا ملتزمين بشروط الصلح المنصوص عليها في الاتفاقية (١) .

وتروي بعض المصادر التاريخية بأن نصارى نجران كانوا أول من صالح الرسول ﷺ من النصارى قاطبة ، وأن الميثاق آنف الذكر كان خاصاً بنصارى نجران فقط (٢) . لكن نجد بعض المصادر أيضاً تشير إلى مواثيق أخرى دونها الرسول ﷺ لنصارى نجران لكن ما ورد فيها من تفصيلات يشمل النصارى عامة ومن بينهم نصارى نجران (٣) .



٤ - حركة الردة في نجران وأعمالها في عصر النبوة:

ارتد أهل نجران عن الإسلام في أواخر عهد النبي ﷺ عل يد رجل اسمه (عبهلة بن كعب) ويكنى بذي الخمار لأنه كان دائماً مختمراً بخمار (٤) ، ويعرف بالأسود العنسي لان لون وجهه كان يميل إلى السواد (٥). وقد تميز بأشياء جعلت الناسَ يلتفون حوله ، فقد كان كاهناً مشعوذاً يسحر الناس بأعاجيبه وأحاجيه ،

---

(١) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٧ .

(٢) البلاذري ، فتوح ، ص٧٩ ، اليعقوبي، تاريخ ، جـ٢ ، ص٨٢-٨٣ ، ابن سعد ، جـ١ ، ص٣٥٧- ٣٥٨. ابن الأثير ، الكامل، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ .

(٣) انظر الزرقاني ، جـ ٤ ص ٤٣ (من رواية ابن ابي شيبة وابي نعيم وغيرهما) ، ابن سلام ، ص ٣٩ ، ٤٤ ، ٤٥ ، أبو يوسف ، ١٢٢ ، ١٣٤ ، حميد الله ، ص ١٨٠ - ١٩٠ولأهمية هذه العهود والمواثيق قمنا بايراد بعضها في الملحق رقم (٤) في نهاية هذا الكتاب .

(٤) ويذكر أنه كان يكنى بذ الحمار - بالحاء المهملة - لحمار له كان قد دربه وعلمه حتى كان يقول له اسجد فيسجد ويقول له ابرك فيبرك . انظر ، البلاذري ، فتوح ، ص ١١٣ ، المسعودي ، التنبيه ، ص ٢٥٦ وما بعدها .

(٥) البلاذري ، فتوح ، ص ١١٣ .

ويجذب قلوب من سمعه بمعسول الكلام، كما كان قوي البنية، شديد العضلات، وهو أحد رجال قبيلة عنس اليمنية [١] .

وما أن انتشر بين الناس خبر مرض الرسول ﷺ بعد رجوعه من حجة الوداع حتى ادعى الأسود العنسي النبوة [٢] ، وقيل أنه أطلق على نفسه (رحمان اليمن) كما تسمى مسيلمة الكذاب (رحمان اليمامة) [٣] ، وأنه كان يدعي النبوة ولا ينكر نبوة محمد ﷺ ، وكان يزعم أن ملكين يأتيانه بالوحي وهما : سحيق وشقيق أو شريف [٤] ، وكان يدعو الناس سراً في بداية أمره ، ويجمع حوله من يراه مناسباً ، حتى فاجأ الناس بظهوره وإعلان دعوته [٥] .

وأول من تبعه أبناء قبيلته (عنس) [٦] ، ثم كاتب زعماء قبيلة مذحج ، فتبعه العوام منهم ، وبعض زعمائهم ، وبخاصة طالبوا الرئاسة [٧] . وعمل على إثارة العصبية القبلية في البلاد الواقعة ما بين صنعاء ونجران [٨] .

وعندما سمع به بنو الحارث بن كعب من أهل نجران ، وبطون أخرى من قبيلة مذحج دعوه إلى بلادهم ، فقدم اليهم على رأس قوة عسكرية ،

---

(١) للمزيد ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٨٥ ، ٢٣٢ وما بعدها ، البلاذري ، فتوح ، ص ١١٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢١٥ ، المقدسي، البدء ، جـ ٥ ، ص ١٥٤ وما بعدها. وقبيلة عنس بطن من بطون قبيلة مذحج .

(٢) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٨٥ ، ٢٣١ وما بعدها ، المقدسي البدء ، جـ٥ ، ص١٥٤ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢١٥ ، الحديثي ، ص ١١٥ .

(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ١١٣ .

(٤) ومما روى من سجعه ، وادعائه نزول الوحي قوله : " المايسات ميسا ، والدارسات درساً ، ويحجون عصباً وفراداً ، على قلائص حمر وصهب" ، انظر ، المقدسي ، البدء ، جـ٥ ، ص١٥٤ ، السهيلي ، جـ ٧ ، ص٤٤٥ ، ٤٤٦ .

(٥) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٨٥ ، ٢٤٠ .

(٦) البلاذري ، فتوح ، ص ١١٣ .

(٧) مجهول المؤلف ورقة ٣٢ (ب) ، الطبري ، جـ ٣ ص ٢٢٩ .

(٨) للمزيد انظر ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ٢٣٠ وما بعدها .

يذكر الحميري أن عددها وصل إلى خمسة آلاف مقاتل وجميعهم من قبائل حمير [١]، وتمكن من دخولها فاتبعوه وارتدوا عن الإسلام ، وأصبح يزيد بن محرم بن حصن الحارثي النجراني أحد قادته [٢] .

والعدد الذي ذكره الحميري والنص على أنهم جميعاً ينتمون لقبائل حمير ، أمر يعتقد بعدم صحته لعدة أمور منها :

١- إذا كان بنو الحارث بن كعب من أهل نجران هم الذين دعوه وأن عدداً كثيراً من بطون مذحج في بلاد نجران وما حولها قد اقتنعوا بدعوته واتبعوه ، فلماذا ياخذ هذا العدد الكبير ويسير بهم إلى نجران ، وبخاصة أنه لن يقابله من أهلها أي أذى لاعتناقهم دعوته ورغبتهم في الإنضمام اليه ، وإن ظهر بعض المناوئين له فلن يمثلوا إلا أقلية من المجتمع النجراني يسهل القضاء عليهم بواسطة أتباعه النجرانيين أنفسهم .

٢- نجد أن بعض المصادر تذكر خروجه في (٧٠٠) مقاتل دون أن تحدد وجهته نحو نجران ، ونحن نميل لترجيح هذا الرأي وربما هذا العدد كان معه يوم أظهر ادعائه النبوة وخروجه بدعوته إلى الناس ، والمعروف أن معظم اتباعه آنذاك كانوا عنسيين من قبيلته وبطون أخرى من مذحج وقبائل يمنية أخرى [٣] .

---

(١) الحميري ، ص ٥٧٤ .

(٢) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٨٥ وما بعدها ، ابن الأثير ، الكامل جـ ٢ ، ص ٢١٥ ، ويعدد الطبري وابن كثير بعض امرائه مثل : قيس بن عبد يغوث المرادي ، ومعاوية بن قيس الجنبي ، ويزيد بن حصن الحارثي (النجراني) ، ويزيد بن الأفكل الأزدي " ، انظر ابن كثير ، البداية ، مج ٣ جـ٦ ، ص ٣١٢ .

(٣) انظر الكلاعي ، ص ٨ ، وللمزيد انظر ، البلاذري ، فتوح ، ص ١١٣ ، مجهول المؤلف ورقة ٣٢ (ب)، الطبري ، جـ ٣ ، ص ٢٢٩ .

٣- من يستقرئ تاريخ قبائل حمير قبل الإسلام ، ثم كيفية دخولهم في الإسلام وتمسكهم به ، وعدم استجابتهم مع قبائل همدان لما جاء ونادى فيهم الأسود العنسي ، يؤكد على عدم صحة خروج (٥٠٠٠) منهم مع الأسود العنسي أما عن استجابة حمير لدعوته فربما خرج معه بعض الحميريين بشكل فردي أو في مجموعات صغيره ، ولكن المؤكد أن أعيان وأمراء عشائر قبائل حمير كانوا من المناوئين للأسود العنسي ، و لم يكونوا على وفاق معه و لم يقتنعوا بما كان يدعو إليه [(١)] .

على أية حال وصل الأسود العنسي نجران وأقام بها أياماً يدعو لنفسه بالنبوة، فاستجابت له بعض العشائر المجاورة لبلاد نجران مثل: عشائر زُبيد، وكان على رأسهم زعيمهم عمرو بن معد يكرب الزُبيدي ، وقيس بن مكشوح المرادي ، وبطون وعشائر عربية أخرى [(٢)] ، وتمكن من طرد عمال الرسول ﷺ من نجران وما جاورها [(٣)] ، ثم استهوته السيطرة على

(١) للمزيد عن الحميريين وما قاموا به من أدوار سياسية خلال عصر الرسالة والخلافة الراشدة انظر ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٨٥ ، ٢٢٧ وما بعدها ، الشجاع ، ص ١٥٤ وما بعدها ، الحديثي ، ص ١٠١ وما بعدها .

(٢) ويحدد الطبري المناطق التي استجابت للعنسي وأصبحت تحت سيطرته فيقول " وغلب الأسود العنسي على ما بين صيهد (مفازة حضرموت) إلى عمل الطائف إلى البحرين قبل عدن " ويؤكد ذلك في موضع آخر بقوله " وثبت ملكه ، واستغلظ أمره ، ودانت له سواحل من السواحل ، حاز عثر ، والشرجة ، والحردة ، وغلافق، وعدن ، والجند ، ثم صنعاء إلى عمل الطائف ، إلى الأحسبة وعليب ". الطبري جـ ٣ ، ص٢٣٠ .

(٣) ويذكر أنه عندما ظهر بدعوته كتب إلى بعض عمال الرسول ﷺ كتب عديدة ، وكان من ضمن ما كتب إلى معاذ بن جبل وهو في بلاد الجند قوله : " أيها المتوردون علينا أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا ، ووفروا ما جمعتم ، فنحن أولى به وانتم على ما أنتم عليه "، الطبري، جـ ٣ ، ص ٢٢٩ ، ابن كثير ، البداية ، مج ٣ جـ ٦ ، ص ٣١١ .

صنعاء فخرج إليها في ستمائة أو سبعمائة فارس معظمهم من بني الحارث ابن كعب وعنس (١) . وتقابل مع أهل صنعاء وعليهم شهر بن باذان الفارسي (٢) فتقاتلوا قتالاً شديداً ، فقتل شهر بن باذان ، وانهزم أهل صنعاء أمام الأسود العنسي فغلب عليها ونزل قصر غمدان بصنعاء ، وذلك بعد خمسة وعشرين يوماً من ظهوره (٣) . وكان له مواقف بشعة في تعذيب المتمسكين بالإسلام في نجران وصنعاء وما بينهما ، واتسع نفوذه حتى شمل ما بين بلاد حضرموت وعدن جنوباً إلى شمال بلاد نجران شمالاً ، وامتد حكمه حتى وصل إلى بعض الأجزاء الساحلية الجنوبية من البحر الأحمر(٤) . وقد اضطربت أوضاع المسلمين باليمن وأصابهم الخوف الشديد من بطش الأسود العنسي ، فكانوا يتعاملون معه من منطلق مبدأ التقية ليأمنوا على أرواحهم (٥) .

أما بقية المسلمين خارج نطاق سيطرته فقد حاولوا التجمع وإعادة الانتظام إلى صفوفهم ، فكان فروة بن مسيك المرادي قد انحاز إلى مكان

---

(١) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٨٥ ، الكلاعي ، ص ١٥١ – ١٥٢ .

(٢) هذا ولد الوالي باذان آخر ولاة اليمن من الفرس الذين دخلوا اليمن في آخر سنة (٥٧٥م) بهدف القضاء على الحبشة ، حليفة الروم ، وبناء على طلب سيف بن ذي يزن ، آخر ملوك حمير . وباذان يعد أول من أسلم من ملوك العجم ، وأول من أُمر في الإسلام على اليمن زمن الرسول ﷺ وتولى ابنه شهر بعده صنعاء وما حولها، ومات في عهد الرسول ﷺ ، انظر ابن كثير ، البداية ،مج٣، جـ٦ ، ص٣١١– ٣١٢ ،الشجاع ، ص ٣٠–٣١ ، ٩٧ –٩٨ ، ١١٩–١٢٧ ، الحداد ، ص ١٤٧ .

(٣) البلاذري ، فتوح ص ١١٣ ، المقدسي ، البدء ، جـ ٥ ، ص ٢٢٩ .

(٤) الطبري ، جـ ٣ ، ص ٢٣٠ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٨٢ ، ابن كثير ، مج ٣ ، جـ ٦ ، ص ٣١٢ .

(٥) (مجهول المولف) ورقة ٣٢ (ب) ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٨٢ .

يسمى (الأحسية)[١]، وانضم إليه من انضم من المسلمين ، وكتب إلى رسول الله ﷺ بخبر الأسود العنسي ، فكان أول من أبلغ الرسول ﷺ بذلك وانحاز كل من أبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى حضرموت في جوار (السكاسك والسكون) [٢] .

وقد تصدى رسول الله ﷺ بحزم وقوة لهذه الحركة ، ثم أرسل نداء إلى المسلمين بنجران ، والى أمراء وأصحاب الرأي من المسلمين باليمن يحثهم على الصبر والإحتساب وتوحيد الصفوف ليتمكنوا من قهر عدوهم ، ومن تلك النداءات التي أرسلها الرسول ﷺ ما أورده الطبري بقوله ((... **وكتب النبي ﷺ إلى أهل نجران ، إلى عربهم وساكني الأرض من غير العرب فثبتوا فتنحوا وانضموا إلى مكان واحد** ...)) [٣] . ويقصد بساكن الأرض من غير العرب ، المسلمين من غير العرب ، وهم الفرس وقد عرفوا بالأبناء ولا زال أعداد منهم تسكن اليمن وبخاصة صنعاء[٤] . وكان لتلك الكتب والنداءات التي وصلت من رسول الله ﷺ التأثير البالغ على الروح المعنوية للمسلمين حيث رفعتها وأعادت الثقة والطمأنينة إليهم ، وتكاتف المسلمون

---

(١) يذكر ياقوت انه موضع باليمن له ذكر في حديث الردة ، جـ ١ ، ص ١١٢ ، ولكن لم استطع تحديد موقعه في بلاد اليمن .

(٢) اسماء بعض العشائر في بلاد حضرموت ، انظر ، الطبري جـ ٣ ، ص ٢٣٠ – ٢٣١ .

(٣) الطبري ، جـ ٣ ، ص ٢٣٢ .

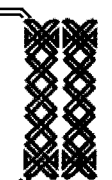
(٤) الأبناء : من أبناء فارس دخلوا اليمن مع سيف بن ذي يزن الحميري ، واطلق عليهم هذا الاسم – فيما بعد – لأنهم استقروا باليمن وتزوجوا ، ثم صار ابناء ابنائهم يطلق عليهم الأبناء ، لأنهم من ابناء اولئك الفرس ، ولأن أمهاتهم من أجناس غير فارسية ، وعندما جاء الإسلام أسلموا وحسن إسلامهم ، ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٥٠٨ فعل (بني)

من عرب وفرس في هذه المحنة حتى استطاعوا قتل الأسود العنسي غيلة ، وذلك قبل موت النبي ﷺ ببضعة أيام [١] .

ونلاحظ من هذا العرض لردة أهل نجران وحركة الأسود العنسي أنها شكلت خطراً عظيماً على الإسلام والمسلمين باليمن لحدوثها في فترة حرجة من تاريخ الدولة الإسلامية ، فرسول الله ﷺ قائد الأمة ورئيس الدولة كان على فراش المرض ، بالإضافة إلى الأوضاع المضطربة داخل اليمن ، حيث لم يعم الإسلام بعد كل نواحيه، علاوة على وجود عدد لا بأس به من أهل الكتاب الذين كانوا منتشرين بأرجائها ، وفي ظل هذه الظروف الحرجة ظهرت حركة الأسود العنسي وامتدت إلى نجران موضوع هذا البحث ، ولكن بعزم المسلمين وتنفيذ أمر الرسول ﷺ لم يقدر لها النجاح وتم اغتيال قائدها ، ولكن بقي بعض أتباعه على ردتهم ، فكان على الخليفة الأول لرسول الله ﷺ معالجة هذا الأمر والذي سنتناوله في صفحات تالية .

---

(١) للمزيد عن كيفية إغتياله ، انظر الطبري جـ ٣ ، ص٢٣٢ وما بعدها ، المقدسي ، البدء جـ٥ ، ص ١٥٥ ، الكلاعي ، ص ١٥٣ ، ١٥٦ وما بعدها ، مجهول المؤلف ورقة ٣٣ (أ) ابن كثير ، البداية ، مج ٣ ، ج٦ ، ص ٣١٢ وما بعدها ؛ ويذكر ان الرسول ﷺ بشر أصحابه في المدينة بمقتل الأسود العنسي يوم وفاته ﷺ . انظر الرازي ، تاريخ ، ص ٧٣ ، ابن كثير ، البداية ، مج ٣ ، جـ ٦ ، ص ٣١٤ .



ثالثاً : نجران في عصر الخلفاء الراشدين



لم يُقْضَ على الردة – كما أسلفنا – في نجران وبلاد اليمن بموت الأسود العنسي ، وإنما استمرت بعد وفاة الرسول ﷺ ، وخلال عهد الخليفة الراشد ، أبي بكر الصديق ﷺ (١١ – ١٣ هـ / ٦٣٢ – ٦٣٤ م) وذلك في بعض بني الحارث بن كعب في نجران الذين انضموا إلى الأسود العنسي ، وبعد مقتله ، ومجيء عهد أبي بكر الصديق ظلوا على ردهم، وهم مترددون في البقاء على الردة، أو العودة إلى الإسلام . وبينما هم على هذه الحال جاءهم مسروق العكي [١] ، مع بعض من بقي على إسلامه من أهل اليمن ، وكان عازماً على مقاتلتهم في حال رفضهم العودة للإسلام وبدا أولاً بدعوتهم سلماً لترك الارتداد والعودة للإسلام ، فاستجابوا وأسلموا دون قتال ، فأقام فيهم يعمل على استتباب الأمور في بلادهم ، حتى وصل إليه جيش الخليفة أبو بكر الصديق تحت قيادة المهاجر بن أبي أمية دعماً له في قتال المرتدين [٢] .

وكان الرسول ﷺ قد أرسل قبل وفاته عدداً من مبعوثيه إلى بلاد السراة ، وغيرها من نواحي بلاد اليمن ، وخاصة عندما سمع بظهور الأسود العنسي ، ولكن

---

(١) انظر ، الكلاعي ، ص ١٥٣ وما بعدها ، وقد ذكره باسم (الأصفر العكي) بينما أسمته كتب الطبقات بمسروق العكي ، ولم تذكر (الأصفر) ولعل الاسمين لشخصية واحدة ، وللمزيد عن جهود مسروق العكي ضد المرتدين في مواطن عديدة من بلاد اليمن راجع الطبري ، جـ ٣ ، ص ٣٢٠ –٣٢١ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ .

(٢) وللمزيد عن تصدي الخليفة أبو بكر الصديق للردة وعن الجيوش التي أرسلها إلى كل مكان لمحاربة المرتدين ، انظر الطبري جـ ٣ ، ص ٣٢٣ وما بعدها ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٩٢ وما بعدها ، ابن كثير ، البداية ، مج ٣ ، جـ٦ ، ص ٣١٥ – ٣٣٦ ، الشجاع ، ص ٢٧٣ .

عجلت الأنباء التي وصلتهم بانتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى برحيل بعضهم إلى الحجاز ، وكان جرير بن عبدالله البجلي من بعض الذين عادوا إلى المدينة المنورة ، فرده الخليفة أبو بكر الصديق وأمره أن يدعو من قومه ، من بني بجيلة ، ومن ثبت على دين الله ولم يرتد ثم يذهب بهم إلى أجزاء عديدة من بلاد السروات ، جنوب الطائف ، فيقاتل من ارتد عن الإسلام ، ثم يواصل مسيره حتى يصل نجران فيقيم بها حتى يأتيه أمره . ويؤكد الطبري ذلك بقوله : ((**فخرج جرير فنفذ لما أمره به أبو بكر، فلم يقر له أحد إلا رجال عدة قليلة ، فقتلهم وتتبعهم ، ثم كان وجهه إلى نجران ، فأقام بها انتظاراً أمر أبي بكر رحمه الله**)) [(١)] .

ومن هنا يتضح لنا أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أراد من جرير البجلي أن يعود إلى بلاد السروات فيحث من بقي على إسلامه التمسك بشرع الله ، ويقاتل معه من خرج عن ملة الإسلام ، ويظهر من نص الطبري أنه لم يقابل أعداداً كثيرة من المرتدين في البلاد الواقعة بين الطائف ونجران ، وبالتالي فقد واصل طريقه مسرعاً حتى وصل نجران فوجد من بها من المرتدين قد رجعوا إلى الإسلام على يد مسروق العكي [(٢)] .

أما المرتدون في بلاد اليمن ، وبخاصة في صنعاء وما حولها وكذلك الأجزاء التهامية من بلاد اليمن فقد ظلوا يعيثون في الأرض فساداً ، بينما استقرت أمور الإسلام في بلاد السراة الممتدة من الطائف حتى نجران لقلة عدد المرتدين وتمسك

---

(١) الطبري ، جـ ٣ ، ص ٣٢٢ ، للمزيد انظر ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٢٩ وما بعدها ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٩٣ . النويري ، جـ ١٩ ، ص ١٤٤ .

(٢) الكلاعي ، ص١٥٦ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ٣٢٢ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص٤٩٣ ، النويري، نهاية ، جـ ١٩ ، ص ١٤٤ .

معظم مسلمي نجران بعقيدهم ، وإصرارهم على محاربة المرتدين ، نستدل على ذلك بما ورد في بعض المصادر من إشارات إلى كتاب أرسله أحد زعماء نجران ويدعى عبدالله بن عبد المدان إلى أبي بكر الصديق ﷺ يطلبه فيه أن يأذن له فيسير في أهل نجران إلى صنعاء ومن حولها لمحاربة المرتدين هناك [١] . بل نجد كتاباً آخر يرسله أبو بكر الصديق إلى المرتدين من أهل صنعاء ، فيذكرهم بدعوة الرسول ﷺ ثم دخولهم في الإسلام وبقائهم عليه إلى أن جاءهم خبر وفاة الرسول ﷺ فارتدوا عن دين الله ، ثم كان في نهاية كتابه : ((**وقد منعني أن اسلط عليكم ابن عبد المدان فيمن قبله انتظاراً ، وما والله محدث مما لست بآئس منه ، فإن تراجعوا الإسلام ترجعوا ديناً طالما نفعكم الله تعالي به ، وان تأبوا فإن لله تعالى حزباً منصوراً ، وجنداً غالباً يقطع دابر القوم الذين ظلموا**)) [٢]. ويفهم من هذا الكتاب حزم الخليفة الأول تجاه المرتدين ومخاطبتهم بصيغة الإنذار وإعطاء فرصة أخيره للمرتدين من أهل صنعاء للدخول ثانية في الإسلام ويعاود إنذارهم في حالة عدم استجابتهم فإنه سوف يحاربهم بعباد الله الصالحين مثل المسلمين من أهل نجران وما حولهم بزعامة ابن عبد المدان .

وقد وضح بجلاء هذا العزم من قبل الصديق في التصدي لحركة الردة في جميع أجزاء شبه الجزيرة العربية ، فجهز العديد من الجيوش التي اتجهت في نواحي

---

(١) انظر ، حميد الله ، ص ٣٤١ – ٣٤٢ وكان لعبدالله بن المدان موقف مشرف في قومه عندما ارتدوا مع الأسود العنسي حيث وقف فيهم ينهاهم عن الردة ويحذرهم عاقبة أمرهم ، انظر ابن حجر ، الاصابة ، مج ٢ ، جـ ٤ ، ص ٩٨ .

(٢) حميد الله ، ص ٣٤٢ وللمزيد عن حركة الردة في صنعاء وما حولها والجهود العسكرية التي بذلها المسلمون في حرب المرتدين واعادة البلاد إلى حظيرة الإسلام ، انظر البلاذري ، فتوح ، ص ١١٣ – ١١٤ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ٣٢٥ وما بعدها ، ابن كثير ، البداية ، مج ٣ ، جـ ٦ ، ص ٣٣٥ –٣٣٦ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ص ٤٩٢ وما بعدها ، الشجاع ، ص ٢٧٤ وما بعدها .

عديدة من البلاد وكان أحدها بقيادة المهاجر بن أبي أمية وأرسله لمحاربة المرتدين في الطائف وبلاد السراة ونجران وصنعاء [١] . ويشير ابن خلدون إلى رحلة المهاجر إلى صنعاء فيذكر أن أبي بكر الصديق ﷺ أمره ((**بأن يسير إلى اليمن ليصلح من أمره ، ثم ينفذ إلى عمله ، وأمره بقتال ما بين نجران وأقصى اليمن ففعل ذلك ، ... وسار المهاجر حتى نزل صنعاء وتتبع شذاذ القبائل فقتل من قدر عليه ، وقبل توبة من رجع اليه ، وكتب إلى أبي بكر بدخول صنعاء ، فجاءه الجواب بأن يسير إلى كندة ...**)) [٢] .

يفهم من هذا القول أن المهاجر خرج من الطائف حتى وصل نجران ، و لم يقابل أي عناء في هذه المنطقة الواسعة التي يصل طولها تقريباً إلى ثمان مئة كيلاً ، ثم يؤكد عليه فيحارب المرتدين الذين كانوا بين نجران وصنعاء ، وفي اعتقادنا أنهم ليسوا كثير لأن من بقي من المسلمين هناك مع بعض قادة المسلمين في تلك النواحي أمثال : جرير بن عبد الله ، ومسروق العكي وغيرهما استطاعوا تذليل الصعاب والقضاء على المرتدين [٣] ، ويعد مجيء المهاجر بن أبي أمية ومن معه من المسلمين بمثابة توطيد وتأمين لأوضاع الدولة الإسلامية في هذه البقاع وبخاصة في

---

(١) للمزيد عن إرسال الخليفة أبي بكر الصديق الكتب والجيوش المنظمة إلى القبائل والنواحي المرتدة عن الإسلام ، انظر ، الطبري ، جـ ٣ ، ص٢٤٩ ، وما بعدها ، ابن كثير مج ٣ ، جـ ٦ ، ص ٣١٩ وما بعدها ، ابن خلدون ، جـ ٢ ، ص ٤٩٤ وما بعدها .

(٢) ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٩٣ – ٤٩٤.

(٣) انظر، الطبري ، جـ٣ ، ص ٣٢٨– ٣٣٠، ابن كثير ، البداية ، مج٣ ، جـ ٦ ، ص ٣٣٥ – ٣٣٦ . ويذكر أبن سمرة الجعدي ، والكلاعي إلى أن المهاجر خرج حتى وصل نجران فوجد كلاً من جرير بن عبدالله ومسروق العكي فضمهما ومن معهما من المسلمين إلى جيشه ، ثم قسم جيشه في نجران إلى قسمين، فرقة تتولى القضاء على فلول الأسود العنسي المتناثرة بين نجران وصنعاء وكان المهاجر نفسه على هذه الفرقة ، اما الفرقة الأخرى فكان على رأسها أخوه عبدالله بن أبي امية ، وكان مهمتها تطهير منطقة تهامة اليمن من المرتدين ، وقد نجحوا في ذلك، انظر، ابن سمرة الجعدي ، ص٣٥، الكلاعي ، ص١٥٦– ١٥٧.

بلاد صنعاء وما حولها ، ولو أن الوضع لا زال خطراً هناك ، لما كان الخليفة الصديق يأمر المهاجر بالتوجه إلى بلاد كندة حيث لا يزال المرتدين بها يشكلون خطراً وتهديداً على الإسلام والمسلمين هناك [١] .

ومع نهاية عهد الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه وبداية عهد الخليفة عمر بن الخطاب (١٣ – ٢٣ هـ / ٦٣٤ – ٦٤٣ م) استقر الإسلام ديناً ودولة في بلاد نجران وجميع البلاد الممتدة من الطائف ومكة المكرمة شمالاً حتى بلاد نجران وصعدة وصنعاء جنوباً ، بالإضافة إلى الأجزاء التهامية المنخفضة غرباً عن تلك المواطن السروية الجبلية [٢] ، وتقاطر سكان تلك البلاد على المدينة المنورة رغبة في الجهاد في سبيل الله ، وإعلاء كلمة التوحيد ، وذلك عندما نادى فيهم الخليفة أبو بكر الصديق ، ثم تلاه الخليفة عمر بن الخطاب ، فانخرطوا في جيوش المسلمين التي خرجت في الفتوحات الإسلامية إلى بلاد فارس والعراق ، وإلى بلاد الشام ومصر والمغرب والأندلس [٣] ، وقد تناثرت الأخبار في المصادر الإسلامية المبكرة على اختلافها مشيرةً إلى الدور الفاعل الذي لعبه سكان البلاد الواقعة إلى جنوب حواضر الحجاز (مكة والطائف) والممتدة إلى حواضر اليمن الكبرى بما فيها نجران وأعمالها في الحياتين العامة والخاصة في المشرق والمغرب في العصر الإسلامي ، ولم يقتصر دورهم على الجهاد العسكري فحسب بل تعدى هذا المجال فنجد أن كثيراً منهم شارك في البناء السياسي والإداري والعمراني للدولة الإسلامية علاوة على

---

(١) للمزيد عن الردة في بلاد كندة ، انظر ، الطبري جـ٣ ، ص٣٣٠– ٣٤٢ ، ابن كثير، البداية ، مج٣ ، جـ٦ ، ص ٣٣٤ –٣٣٦ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥٠٦ – ٥٠٧ .

(٢) عن التحديد الجغرافي لهذه المناطق وما ذكر عنها انظر ، البكري ، معجم ، مج ١ ، جـ ١ ، ص ٨ وما بعدها ، ياقوت ، جـ ٢ ، ص٦٣ – ٦٤ ، ٢١٨– ٢٢٠ ، القزويني ، ص٨٤ – ٩٠ ، الوهيبي ، ص٥٣ – ٦٩ ، الحديثي ، ص ٩٩ – ١٤١ ، الشجاع ، ص ٢٩٣ – ٣٣٠ .

(٣) انظر ابن حزم ، ص ٢٩٤ ، ٤٤٦ – ٤٤٧ ، الحديثي ص ١٤٥ – ٢٠٦ البري ، ص ١٤٣ – ٢٢٦ ، الشجاع ، ص ٢٣٩ وما بعدها ، ابن جريس ، دراسات ، جـ ١ ، ص ٥٧ –٩١ .

مساهماتهم المؤثرة في بقية الجوانب الحضارية الأخرى ، كالنواحي العلمية والفكرية والحياة الاقتصادية على اختلافها وشتى المظاهر الاجتماعية الأخرى ، ومن يتتبع آثارهم ومساهماتهم في هذه الجوانب فإنه سيجد مادة علمية ثرية لا تكفيها عديد من الأسفار لجمع هذا الجانب الحضاري الخاص بهم (١) .

أما الأوضاع المحلية في بلاد نجران وما حولها فللأسف الشديد لم تفصح المصادر ولا تمدنا بتفصيلات مهمة عن تلك الأوضاع وبخاصة بعد خلافة أبي بكر الصديق ، ولكن يمكننا أن نستنتج من سير الحداث بأن الأوضاع الداخلية لبلاد نجران قد استقرت سواء كان ذلك مدنياً أو دينياً خاصة بعد وصول المهاجر بن أبي أمية ، والتقائه بأهل نجران ومن كان فيها من الصحابة ، وجهوده في توطيد الأمن هناك وآلت على إثرها ترك جرير بن عبد الله البجلي والياً على نجران ، وذهب في طريقه إلى كندة لإكمال مهمته في القضاء على المرتدين تنفيذاً لأوامر الخليفة الصديق . ثم جاء عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، فكان أكثر استقراراً بفضل ما عرف عن هذا الخليفة الراشد من حزم في إدارة البلاد الإسلامية ، فقد أرسل عماله في أنحاء الدولة الإسلامية ، ومن عماله في نجران ، يعلى بن أمية الذي كان والياً على أجزاء من اليمن منذ عهد الرسول ﷺ ثم عهدي أبو بكر وعمر فكان مسؤولاً عن بلاد نجران وما جاورها من بلاد همدان ومأرب والجند ، وقد استدعاه عمر ابن الخطاب أكثر من مرة لكي يقدم تقاريره الإدارية عن سير أحوال البلاد التي يتولاها واستجوابه في بعض الأمور لأخبار بلغته عنه (٢) ، ثم أعاده عاملاً على نجران وغيرها من النواحي فظل هناك حتى عهد الخليفة علي بن أبي طالب (٣) .

---

(١) المراجع نفسها ، وللمزيد انظر ، الجرافي ، ص ٨٨ – ٨٩ ، شرف الدين ، اليمن ، ص ١٧١ – ١٧٧ ، دلال ، ص ١٢٧- ١٢٩

(٢) من الشكاوي التي قُدمت في يعلى بن أمية أنه حمى لنفسه في نجران ، فعزله عمر من منصبه ثم أعاده بعد مسالته ، ابن حجر ، الاصابه ، مج ٣ ، جـ ٦ ، ص ٣٥٣ .

(٣) المصدر نفسه ، للمزيد انظر ، الحسين ، غاية ، جـ ١ ، ص ٩٣ ، ٩٤ ، شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ٢١ – ٢٢ .

أما عن الدور الذي لعبته نجران في بقية الأحداث السياسية التي ألمت بالدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ، وبخاصة في الفتنة الكبرى في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ (٢٣– ٣٥ هـ / ٦٤٣ – ٦٥٥ م) والصراع بين الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ (٣٥ – ٤٠ هـ / ٦٥٥ – ٦٦٠ م) وبين معاوية بن أبي سفيان ﷺ نجد أن سكان نجران أسوة بغيره من سكان شبه الجزيرة العربية قد انخرطوا بالتأكيد في هذه الفتن ومنهم من انضم إلى الخليفتين الراشدين عثمان وعلي ، ومنهم من كان ضدهما ، وسكان بلاد السراة من الطائف حتى صنعاء ، وكذلك نال سكان الأجزاء التهامية من تلك البلاد ما نال غيرهم من هذه الفتنه ، وبخاصة الذين توزعوا منهم في الأمصار الإسلامية من مصر إلى الشام إلى بلاد العراق وفارس ، والمصادر التاريخية تعج بالكثير من الأخبار التي تشير وتؤكد انخراط سكان هذه المناطق في خضم الأحداث السياسية التي عاشتها الأمة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ﷺ [(١)] .

أما عن تفاصيل هذا الدور الذي لعبته نجران وما يجاورها فلا ريب أنها قد تأثرت كغيرها من بلاد شبه الجزيرة العربية بالفتن التي وقعت زمن الخليفة عثمان بن عفان وأدت إلى استشهاده ﷺ ثم الصراعات التي وقعت بين الخليفة علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان حيث تشير المصادر التاريخية المبكرة والتي عالجت أحداث هذه الفترة إلى انتشار هذه الفتن حتى وصل خبرها بل تأثيرها إلى كل صقع من أصقاع المسلمين آنذاك ، ولكنها رغم ذلك لا تخصص الحديث عن دور أهل نجران فيها أو توضح بشكل مفصل مدى تأثيرها على تلك الأنحاء .. بل نلاحظ أنها لا تكاد تذكر في بطون هذه المصادر لانشغال مصنفيها بما يجري في الحواضر العربية الكبرى محل هذه الصراعات (المدينة المنورة – دمشق – الكوفة) ولا يتواتر ذكر نجران ثانية ودورها السياسي في أحداث الدولة الإسلامية

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن تلك الأحداث انظر ، ابن العربي ، ص ٦١ –١١٠ ، ابن مـــزاحم ، ص ١١٧ ، ١٧١ ، ١٩٠ ، ٢٢٧ ٢٦٢ ، ٣٠٢ ، ٣٣٢ ، ٤٤٣، ٤٧٧ ، ٥١٢ ، ابن أعثم جـ ٤ ، ص ٥٣ – ٦٩ ، ١٤٠ ، ابن حزم ، الفصل ، جـ ٤ ، ص ١٦١ وما بعدها ، الشجاع ، ص ٣٣١ – ٣٨٣ .

إلا سنة أربعين من الهجرة حينما وجه معاوية بن أبي سفيان بسر بن أبي أرطاة العامري في ثلاثة آلاف رجل لاجتياح الحجاز في طريقه إلى نجران وبلاد الجند وصنعاء وما حولها . وقد أوضحت المصادر حينئذ سبب بعث بسر إلى تلك النواحي ، وهو أن معاوية أثناء وجوده بالشام في خلافة علي بن أبي طالب تلقى خطاباً من بعض أهل صنعاء ونجران والجند وقد أظهروا له الموافقة على مطالبته بقتلة عثمان بن عفان ، لأنهم استنكروا قتل أمير المؤمنين (١) .

وكان غالبية أهل نجران وما حولها من بلاد اليمن قد أعلنوا ولاءهم إلى الخليفة علي بن أبي طالب الذي أرسل إليهم في عام (٣٥ هـ/٦٥٥ م) عبيد الله بن عباس ليكون والياً عاماً على بلاد اليمن بما فيها بلاد نجران وأعمالها (٢) ، بينما خالفته فئة قليلة وأرسلت إلى معاوية وأعلنت له الولاء والبراء من علي بن أبي طالب ، وعندما عرف والي اليمن عبيد الله بن عباس ، بخبرهم ، استدعاهم وتحاور معهم فبينوا له أنهم مازالوا يرون مجاهدة من سعى على أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ . فلجأ عبيد الله إلى سجن بعض رجالهم ، فثار لهم أعوانهم خارج السجن وهددوا عبيد الله إما أن يطلقهم ، وإما فلا طاعة له ولا لعلي بن أبي طالب ، فرفض عبيد الله فما كان منهم إلا أن استعصوا وامتنعوا عن دفع زكاة أموالهم لعبيد الله بن عباس (٣) .

وقد حرص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على استشارة زعماء اليمن الذين يرافقونه في هذه الأحداث التي تحصل في اليمن، وكان من أولئك الرجال يزيد بن أنس الأرحبي (٤)، فنصحه بأن يكتب لهم كتاباً ، فإن استجابوا وإلا أرسل إليهم جيشاً ، فكتب

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٩٧-٢٠٠ ، ابن اعثم جـ ٤ ، ص٦١- ٦٥ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٣ ، ص ١٩٢ وما بعدها ، الحسين ، جـ ١ ، ص ٩٦ ، النويري جـ ٢ ، ص ٢٥٩ - ٢٦١ .

(٢) ابن سعد ، جـ ٦ ، ص ٨٤ ، الحسين ، غاية ، جـ ١ ، ص ٩٣ ، ٩٤ .

(٣) ابن اعثم ، جـ ٤ ، ص ٥٤ ، وما بعدها

(٤) يذكر أن يزيد كان مرافقاً لعلي بن أبي طالب في الكوفة ، ولازال له قوم وعشيرة قوية في بلاد اليمن ، لهذا استشاره الخليفة انظر تفصيلات ذلك ، ابن اعثم ، جـ ٤ ، ص ٥٤ ، وما بعدها .

الكتاب وأرسله مع رجل من همدان [١] . فلم يؤثر فيهم بل زادهم تمساكاً بموقفهم وكتبوا على إثر ذلك لمعاوية بأن يرسل إليهم بأمير من قبله فأرسل بسر بن أبي أرطاة في ثلاثة الآف رجل وقيل أربعة الآف مقاتل ، وأوصاه أن يذهب إلى الحجاز ، ثم بلاد السراة حتى يصل إلى بلاد اليمن ، ويكون حازماً شديداً على من يتصدى له [٢] ، فخرج بسر وجيشه فجاس خلال الديار يقتل ويحرق ويشرد كل شخص أو فئة كانت متشيعة للخليفة علي ابن أبي طالب ، وعندما علم عبيد الله بن عباس بقدومه خرج هارباً إلى الكوفة ، والتقى بالخليفة علي بن أبي طالب هناك ، وقبل خروجه من بلاد اليمن خلف عليها عبد الله بن عبد المدان الحارثي أحد أحفاد يزيد بن عبد المدان الحارثي ، الذي كان ضمن وفد أهل نجران الذين وفدوا على رسول الله ﷺ فـي السنة العاشرة من الهجرة [٣] .

وعند وصول بسر بن أبي أرطاة إلى نجران وجد بها عبد الله بن عبد المدان فقتله ، وقتل ابناً له يسمى ، مالكاً [٤] ، ثم بقي بها يتهدد أهل نجران بالقتل ، ثم جمعهم ونادى فيهم قائلاً : ((**يا أخوان النصارى ، أما والذي لا إله غيره لئن بلغني عنكم أمر أكرهه لأكثرن قتلاكم**)) [٥] . ثم واصل سيره إلى بلاد صنعاء يلاحق الموالين للخليفة

---

(١) قبائل همدان كانت أكثر القبائل سمعاً وطاعة إلى الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ ، وذلك منذ ذهب اليهم في عهد الرسول ﷺ حتى وفاته ، وبقوا على الولاء لأبنائه وأحفاده حتى اليوم . انظر ، الشجاع ، ص ٣٣٢ وما بعدها ، البلادي ، ص ١٢١ وما بعدها .

(٢) انظر اليعقوبي ، تاريخ ، جـ٢ ، ص ١٩٧ وما بعدها ، ابن اعثم ، جـ ٤ ، ص ٥٤ وما بعدها ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٣ ، ص ١٩٢ – ١٩٤ ، النويري ، جـ ٢ ، ص ٢٥٩ وما بعدها .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٩٧ وما بعدها ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٣ ص ١٩٢ – ١٩٤ ، ابن اعثم ، جـ ٤ ، ص ٥٤ وما بعدها

(٤) وقد انشد بعض بني عبد المدان يقول :

فلولا أن اخاف صيال بسر   بكيت على بني عبد المدان

ابن أعثم ، جـ ٤ ، ص ٦٣ ابن حجر ، الاصابه مج ٢ جـ ٤ ، ص ٩٨ .

(٥) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ص ١٩٩ ، وورد النص بصيغة أخرى مختلفة عند ابن اعثم الذي يذكر أن بسر خاطب أهل نجران بقوله : " يا أخوان اليهود والنصارى ، أما والله لئن بلغني عنكم أمر اكرهه من ولايتكم على بن أبي طالب ، لأرجعن عليكم بالخيل والرجال ، ثم لأكثرن فيكم القتل ، فانظروا لأنفسكم فقد أعذر من أنذر " انظر الفتوح ، جـ ٤ ، ص ٦٣ .

علي بن أبي طالب ويقتلهم ويشردهم . ولما بلغ خبر بسر بن أبي أرطاة إلى الخليفة علي ابن أبي طالب بعث جارية بن قدامة السعدي في ألفين من الرجال ، ووهب بن مسعود الخثعمي بنفس العدد ، فتوجه جارية حتى أتى نجران فقتل جماعة ممن ناصروا بسر ، وهرب ابن أبي أرطاة وأتباعه فطاردهم جارية السعدي ورجاله حتى دخلوا مكة المكرمة وهناك وافت الأخبار جارية بمقتل الخليفة علي بن أبي طالب على يد عبد الرحمن بن ملجم (١) .

أما النصارى في نجران الذين كانوا قد تصالحوا مع رسول الله ﷺ وفق شروط محددة فإنهم لما علموا بوفاة رسول الله ﷺ أرادوا أن يجددوا العهد مع خليفة رسول الله فبعثوا وفداً إلى أبي بكر الصديق كي يوضحوا له التزامهم بالعهود التي صالحهم الرسول ﷺ عليها وعند مقابلتهم للخليفة أبو بكر وسمع منهم أقرهم على تلك العهود ، وكتب لهم كتاباً قال فيه ((**بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ لأهل نجران أجارهم من جنده ونفسه ، وأجاز لهم ذمة محمد ﷺ إلا ما رجع عنه محمد ﷺ بأمر الله عز وجل في أرضهم وأرض العرب ، إلا يسكن بها دينان ، أجارهم على أنفسهم بعد ذلك وملتهم وسائر أموالهم وحاشيتهم ، وعاريتهم ، وغائبهم وشاعدهم وأسقفهم ورهبانهم وبيعهم حيثما وقعت ، وعلى ما ملكت أيديهم من قليل أو كثير ، عليهم ما عليهم فإذا أدوه فلا يحشرون ولا يعشرون ولا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ووفى لهم بكل ما كتب لهم رسول الله ﷺ وعلى ما في هذا الكتاب من ذمة محمد رسول الله ﷺ وجوار المسلمين وعليهم النصح والاصلاح فيما عليهم من الحق**)) (٢) .

---

(١) انظر ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٩٨-١٩٩ ، ابن اعثم ، جـ ٤ ، ص ٥٦ وما بعدها ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٣ ، ص ١٩٢ وما بعدها ، ابن حجر ، الاصابه ، مج ٢ جـ ٤ ، ص ٩٨ ، النويري ، جـ ٢ ، ص ٢٥٩ وما بعدها ، الحسين ، غاية ، جـ ١ ، ص ٩٦ .

(٢) الطبري ، جـ ٣ ، ص ٣٢١ -٣٢٢ ، حميد الله ، ص ١٩١ - ١٩٢ .

ويتضح من هذا الكتاب أن الخليفة أبو بكر أقرهم على وضعهم ما داموا ملتزمين بشروط الصلح الذي عقدوه مع رسول الله ﷺ ، كما أوضح لهم موقف الرسول ﷺ من الديانات السماوية ، اليهودية النصرانية ، وبقائها في جزيرة العرب ، عندما روى لهم الحديث القائل ((**أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب**))[١] ، ولكنهم الآن محميين تحت مظلة الاتفاقية التي عقدوها مع رسول الله ﷺ فلا خوف عليهم ولهم الأمان[٢].

وكانت أعداد النصارى بنجران في تزايد مستمر ، وقد شعر الخليفة عمر بن الخطاب بخطرهم على نجران وما حولها من البلاد ، ولكن لا يستطيع فعل شيء لالتزامه بنصوص الاتفاقية المبرمة معهم منذ عهد الرسول ﷺ والتي جددها الخليفة أبو بكر ، وفي عام (٢٠ هـ / ٦٤٠م) علم الخليفة أنهم يتعاملون بالربا ، وهذا يعني أنهم قد خرقوا نصاً من نصوص الاتفاقية التي أبرمت بينهم وبين رسول الله ﷺ[٣]، فأجلاهم من نجران انطلاقا من المبدأ القائل ((**من نقض عهداً فلا ذمة له**))[٤] ، بعد أن اشترى منهم عقارهم وأملاكهم فتفرقوا فمنهم من ذهب إلى العراق ، وآخرون اتجهوا إلى الشام فأما الذين سكنوا العراق فقد استقروا في الكوفة وسمي المكان الذي نزلوه باسم ((**النجرانية**)) نسبة إليهم[٥].

---

(١) في حديث رواه أبو عبيدة عن الرسول ﷺ انه كان اخر ما تكلم به الرسول ﷺ قبل موته أن قال " اخرجوا اليهود من الحجاز ، واخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب " انظر ابن سلام ، ص ١٤٤ – ١٤٥ ، وفي رواية أخرى " لا يبقين دينان في ارض العرب " البلاذري ، فتوح ، ص ٧٧ .

(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٧٧ ، الطبري جـ ٣ ، ص ٣١٢ ، حميد الله ، ص ١٩١ – ١٩٢

(٣) ويذكر أن عمر بن الخطاب ﷺ كتب لهم كتاب مطولاً قال فيه " ... من عمر أمير المؤمنين إلى أهل رعاش كلهم ... اما بعد فانكم زعمتم أنكم مسلمون ثم ارتددتم بعد ... " انظر نص الكتاب كاملاً ، ابن سلام ، ص ١٤٥ ، الهمداني ، صفة ص ٣١٨ ، حاشية (١)

(٤) الطبري ، تاريخ ، جـ ٤ ، ص ١١٠ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٧ – ٧٨ ، حميد الله ، ص ١٩٢ – ١٩٣ ويذكر احد المصادر أن يهود نجران خرجوا معهم يوم ذهبوا إلى الشام والعراق ، وكانوا كالاتباع لهم . البلاذري ، فتوح ، ص ٧٧ .

(٥) أبو يوسف ، ص ٧٤ ، ابن سلام ، ص ٢٧٤ ، البلاذري، فتوح، ص ٧٧ ، المسري، ص ٧٣ – ٧٤ .

ويبدوا أن عمر بن الخطاب قد تعاطف معهم يوم تركوا نجران واتجهوا إلى الشام والعراق ، فكتب إلى من قبلهم من أمراء وعامة المسلمين ، وذلك وفاء لهم بما كتب لهم رسول الله ﷺ وخليفته أبو بكر فقال : ((**أما بعد فمن مروا به من أمراء الشام وأمراء العراق فليوسعهم من حرث الأرض ، فما اعتملوا من ذلك فهو لهم صدقة ، وعقبة لهم مكان أرضهم لا سبيل عليهم فيه لأحد ولا مغرم ، أما بعد فمن حضرهم من رجل مسلم فلينصرهم على من ظلمهم ، فإنهم أقوام لهم الذمة وجزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين شهراً ، من بعد أن يقدموا ، ولا يكلفوا إلا من ضيعتهم التي اعتملوا غير مظلومين ، ولا معتدى عليهم**))[١] . وبهذا المكتوب أعطاهم الخليفة عمر فرصة عامين لترتيب أوضاعهم والاستقرار دون أن يلزمهم بدفع الجزية المفروضة عليهم من عهد الرسول ﷺ وبعد انقضاء هذه المدة تعود الجزية كما كانت تفرض عليهم من قبل ، أسوة بسائر أهل الذمة من النصارى واليهود [٢].

وهناك رأي آخر في سبب إجلائهم من نجران يرويه لنا البلاذري في كتابه " **فتوح البلدان** " فيذكر أن نصارى نجران قد تزايدت أعدادهم، وضاقت عليهم المدينة حيث بلغ تعدادهم قريباً من أربعين ألفاً وشاع بينهم التباغض والتحاسد ، فرفعوا أمرهم إلى عمر وطلبوا منه أن يجليهم من بلادهم ، فاغتنم عمر هذه الفرصة ، لا سيما وأنه كان متخوفاً منهم على المسلمين بنجران وما حولها من البلدان فلبى طلبهم وأخرجهم إلى الشام والعراق ، وبعد ذلك ندموا على ما فعلوا ، فعادوا إلى عمر يسألونه أن يلغي قرار الإجلاء ولكنه رفض وأصر على إجلائهم [٣] .

---

(١) انظر ابن سعد ، جـ ١ ص ٣٥٨ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٧ ، ابن سلام ، ص ٢٧٤ ، حميد الله ، ص ١٩٣ – ١٩٤ .

(٢) المصادر والمراجع نفسها .

(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٧٨ .

وفي اعتقادنا أن الرأي الأول هو الأصح في سبب إجلائهم ، ولأنهم قد أعطوا العهود على أنفسهم ، والتزموا بعدم نقضها ، ولكن عندما نقضوها وجدها الخليفة عمر فرصة لإخراجهم ، تقيداً بوصية الرسول ﷺ ((**لا يبقين دينان في ارض العرب**))[1] . ومن يدقق النظر في هذا الحديث نجد عمر بن الخطاب لم يخرج في عهده من الجزيرة العربية إلا نصارى نجران ، ويهود خيبر ، في حين أنه كان في بلاد اليمن ، وهجر ، واليمامة ، وأرض البحرين ، بعض النصارى ، واليهود ، وأيضا المجوس ، فكانوا يعيشون في هدوء وسكينة تحت حماية دولة الإسلام ، كذلك لم يتعرض أبو بكر من قبله لتلك العناصر غير المسلمة ، وإنما جدد العهد لنصارى نجران حيث لم يجد كل منهما الفرصة لتنفيذ حديث رسول الله ﷺ فيخرجون أصحاب جميع الديانات الأخرى غير المسلمة من جزيرة العرب ، والسبب في ذلك ربما يعود في رأينا إلى بعض الأسباب منها :

١- أن الخليفة أبو بكر الصديق لم يخرج أحداً منهم لأن فترة خلافته كانت قصيرة جداً ، ثم إنها كانت مليئة بأحداث جسام ، من أهمها محاربة المرتدين وكسر شوكتهم ، وكذلك بعث الجيوش الإسلامية لنشر الدين الإسلامي بين الشعوب غير الإسلامية ، ولهذا فلم يكن لديه الوقت للالتفات نحو غير المسلمين في الجزيرة العربية .

٢- أما الخليفة عمر بن الخطاب فكان هو الآخر مشغولاً بمراقبة وتجهيز جيوش الفتح الإسلامي في بلاد فارس ، والشام ، ومصر إلى جانب أنه كان منهمكاً في توطيد أركان الدولة الإسلامية ، وإرساء دعائمها الإدارية بابتكار المؤسسات الإدارية المختلفة ومنها الدواوين كديوان

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٧٧

الجند، وديوان الخراج، وغيرها ولهذا لم تكن أمامه فرصة كافية للالتفات إلى أوضاع أهل الذمة في جزيرة العرب ، ولكن عندما صدر من بعضهم مثل نصارى نجران ويهود خيبر بعض التصرفات المتعارضة مع مبدأ العقيدة الإسلامية ، ونكثهم بعض العهود والمواثيق المكتوبة عليهم ، كان عليه معاقبتهم ، وأفضل عقاب لهم هو إخراجهم من الجزيرة العربية عملاً بحديث الرسول ﷺ .

وكان لنصارى نجران في مسألة إجلائهم من بلادهم على يد الخليفة عمر الخطاب أقوال وآراء يغلب عليها الطابع الغيبي ، فيذكر ابن سعد أنهم زعموا كما ورد في كتبهم أن الذي يخرجهم من أرضهم في نجران رجل بفخذه شامة سوداء ، وقد شاهدوا تلك الشامة بفخذ عمر بن الخطاب عندما ركب فرساً فانكشف ثوبه عن فخذه ، فقالوا ((**هذا الذي نجد في كتبنا انه يخرجنا من أرضنا**)) [١] .

وتشير المصادر إلى أن نصارى نجران بالكوفة حاولوا بعد عمر بن الخطاب مع الخليفتين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ، على أن يعودوا إلى أوطانهم في نجران لكنهما رفضا ذلك الطلب [٢] ، بل أنهم الحوا في ذلك على علي بن أبي طالب فاقسموا عليه بشفاعته عند رسول الله ﷺ فرفض الخليفة علي طلبهم قائلاً ((**أن عمر كان رشيداً الأمر ، وأنا أكره خلافه**)) [٣] .

فبقي نصارى نجران في الكوفة وبلاد الشام في عصور بني أمية وبني العباس وصادفوا في حياتهم كثيراً من العقبات الاقتصادية التي جعلتهم يسألون الخلفاء إنقاص مقدار الجزية المفروضة عليهم منذ عهد الرسول ﷺ وقد تجاوب خلفاء بني

---

(١) ابن سعد ، جـ ٣ ، ص ٣٦٢ .

(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٧٨ ، الفقي ، ص ٤٨ . انظر ملحق رقم (٥) في نهاية هذا الكتاب .

(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٧٨ ، أبو يوسف ، ص ٧٤ .

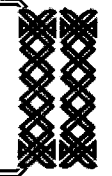
أمية وبني العباس معهم مراعاة لظروفهم الاقتصادية ومن أبرز هؤلاء الخلفاء معاوية ، وعبد الملك بن مروان ، وعمر بن عبد العزيز ، والسفاح والمنصور والرشيد ، ومع مرور الزمن تناقصوا في المجتمع الإسلامي ، فمنهم من هاجر من موطنه في الكوفة أو بلاد الشام ، ومنهم من اعتنق الإسلام فأصبح واحداً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم [١].

وفي اعتقادي أن بعض أولئك النصارى الذين أجلاهم الخليفة عمر بن الخطاب من بلاد نجران إلى الشام والعراق قد عاد بعضهم إلى أرض نجران ، ربما في زمن الدولتين الأموية والعباسية ، وبخاصة أثناء انغماس العالم الإسلامي في كثير من الحروب والصراعات الداخلية والخارجية خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة / الثامن والتاسع للميلاد ، ومما يؤكد هذا القول ، ما ورد في المصادر عند الحديث عن قدوم الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين إلى اليمن في أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، واستقراره في صعدة ثم بدأ يوسع دائرة نفوذه شمالاً فاصطدم بسكان نجران ودخل معهم في حروب طاحنة ، وكما تشير المصادر إلى أن أغلب سكان نجران آنذاك كانوا مسلمين فيما عدا فريق منهم كان لا يزال يدين بالنصرانية ، فعقد معهم عهداً يضمن لهم البقاء في نجران ولهم ما تحت أيديهم من العقار والأملاك على أن يدفعوا على ذلك ضريبة [٢].

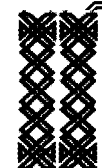
---

(١) للمزيد انظر ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٨ – ٧٩ ، أبو يوسف ، ص ٧٥ ، انظر الملحق رقم (٥) نهاية هذا الكتاب .

(٢) العلوي ، سيرة ، ص ١٠١ ، للمزيد ، البلادي ، ص ٢٤١ – ٢٤٧ ، انظر أيضاً ملحق رقم (٨) في نهاية هذا الكتاب .



رابعًا : نجران في العهدين الأموي والعباسي



ساد الاضطراب شبه الجزيرة العربية بعامة ، وبلاد نجران بشكل خاص بعد انتهاء عصر الخلفاء الراشدين ، وأهمل ذكرها في طيات المصادر، واستمر ذلك الإهمال والنسيان في العصرين الأموي والعباسي ، ولعل ذلك يرجع إلى عدد من الأسباب يأتي في مقدمتها انتقال حاضرة الخلافة الإسلامية ، ومركز الثقل السياسي والزعامة من الحجاز إلى خارجه ، أي من المدينة المنورة إلى خارج شبه الجزيرة العربية، حيث انتقلت العاصمة أولاً إلى دمشق ببلاد الشام ثم إلى بلاد العراق ، وقد أدى انتقال السلطة المركزية ، والزعامة السياسية ، لخارج الجزيرة العربية إلـــى ظهور العديد من المشاكل والعقبات السياسية التي كان لها انعكاسها على النواحي الحضارية، نذكر منها :

١ - تقلص الدور السياسي لشبه الجزيرة العربية فتحولت جميع أجزائها إلى مجرد ولاية عادية ضمن ولايات الدولة الإسلامية ، بعد أن كانت مقراً للسلطة المركزية في عصري الرسالة والخلافة الراشدة ، ولم تعد تشكل أهمية عند خلفاء بني أمية وبني العباس ، فيما عدا حواضر الحجاز الكبرى، والتي ظلت لها مكانتها الدينية والسياسية في هذين العصرين لكونهما (مكة المكرمة والمدينة المنورة) مقراً للحرمين الشريفين بما لهما من مكانة مقدسة في نفوس المسلمين ، كما أن السيطرة عليهما ، والقائم على خدمتها وإسباغ الحماية عليهما ، يحوز الرضا والتأييد السياسي والروحي من عامة المسلمين وخاصيتهم فترتفع مكانتهم ،

وبالتالي تتحقق المكاسب السياسية لأولئك الساسة لكونهم رعاة المقدسات .

٢ - أجزاء شبه الجزيرة العربية الأخرى خلاف مدن الحجاز المقدسة ، أصبحت في عهد بني أمية ، والقرنيين الأولين من عصر بني العباس هامشية تحت مظلة تلك الحكومات ، فلم تعد لها نفس الأهمية والقدر الذي كانت عليه في عصري الرسالة والخلفاء الراشدين ، وذلك يعود في رأينا إلى البعد الجغرافي لمعظم أجزاء الجزيرة العربية عن الحاضرة السياسية للدولة الإسلامية وأحياناً يرجع إلى صعوبة التضاريس ، مما أثر على سهولة الاتصالات فيما بين تلك البقاع والعاصمة ، وهذان السببان نلاحظهما في بلاد اليمن ونجد والسروات والتي تعد نجران جزءاً منها .

وإذا ما سعينا لتقديم دراسة تاريخية حضارية لبلاد نجران خلال هذه الفترة ، نجد أن الأمر يزداد غموضاً ، لأن العقبات المذكورة أعلاه تكاد تشمل أغلب نواحي شبه لجزيرة العربية ، باستثناء بلاد الحجاز إلى حد ما ، فإذا ما تطرقنا لمحاولة تقديم دراسة عن تاريخ وحضارة منطقة صغيرة من شبه الجزيرة العربية مثل نجران وما شابهها فإننا نقابل بصمت المصادر تقريباً عن إفادتنا بأي شيء حيال هذا الأمر، فالعلماء وأرباب القلم لا يذهبون دائماً وأبداً إلا إلى المواطن التي يجدون فيها الدعم والرعاية ، حيث تصنع الأحداث السياسية ، ويقيم الحكام ، ويزداد الثراء الحضاري، وهذا لا يتوافر إلا في الحواضر الكبرى فتوافدوا على بلاط خلفاء بني أمية وبني العباس ليكونوا قريبين من الأحداث وصنع القرار ، فتركز اهتمامهم على التأريخ للدول وشخصيات الحكام دون الاهتمام بالتاريخ لموضوعات متخصصة إلا في القليل النادر ، وإن دونوا شيئاً في مصنفاقم عن تاريخ وأدب وحضارة بلاد بعيدة عن مواطنهم ومواقع استقرارهم مثل بلاد نجران وما شابهها ، فذلك لا

يكون إلا اعتماداً على الرواية الشفهية ، أو بالاطلاع على بعض المصادر المحلية لتلك الأوطان وغالباً ما تكون نادرة أو معدومة ، وتزداد الأمور صعوبة على الباحث إذا ما تطرق إلى الدراسات الحضارية حيث يصادف ندرة في المعلومات التي تتصل بعدد من جوانب الموضوع ، لتركيز المؤرخين في كتاباهم على التاريخ السياسي ، الأمر الذي جعل الجوانب الحضارية والاهتمام بها يضيع في زحام الصراعات السياسية ، فقد يقرأ الباحث كتباً عديدة دون أن يتوصل إلى نص واحد يتناول مظهراً من مظاهر التاريخ الحضاري لمنطقة ما .

فعلى سبيل المثال إذا ما طالعنا المصادر الإسلامية على اختلافها من تاريخية وجغرافية وأدبية لنرى ما دونته عن نجران في العصر الأموي ، نكاد لا نظفر بطائل ، حيث اعتراها الإهمال ، ومر المصنفون عليها وعلى ما جرى فيها من وقائع وأحداث دون أن يتناولوها سواء بإيجاز أو تفصيل ، فمثلاً إذا ما حاولنا التعرف على طبيعة النظام الإداري هناك ، فلا تمدنا المصادر بمعلومات واضحة أو صريحة عن ذلك ، فكل ما أشارت إليه في هذا الصدد ذكر أسماء الولاة المعينين من قبل خلفاء بني أمية ، وكذلك بني العباس على الحجاز أو اليمن أو البحرين دون أن تفصل لنا ماهية الأوضاع الإدارية في تلك الأجزاء الصغيرة [1]. وسوف نشير في الفصل الثالث من هذه الدراسة إلى أسماء بعض الولاة الذين أرسلتهم الخلافة ليقوموا على أمر بلاد اليمن، وأحياناً كانت تعهد لهم بولاية الحجاز واليمن معاً ، فتكون لهم الولاية العامة على هاتين الناحيتين [2] .

---

(١) انظر الفاسي ، شفاء ، جـ ٢ ، ص ١٦٦ – ١٦٧ ، السباعي ، ص ١٤٨ وما بعدها ، العلي ، " الادارة " ص ٣ وما بعدها ، Husaini , pp , 17ff, Keenedy , pppp.26ff , Salem , pp. 19ff.
Jrais " the Governorship" Samadi , pp . 12 ff , pp. 13 ff .

(٢) المراجع نفسها .

وبالنسبة لنجران – موضوع هذا البحث – فقد تعدى عدم الاهتمام بذكرها ، وإهمال وقائعها في بطون المصادر للتاريخ الحضاري ليشمل تاريخها السياسي أيضاً ، فبدءاً من العصر الأموي وحتى نهاية القرن الرابع الهجري (نهاية ق ١٠م) لا نكاد نجد في طيات المصادر على اختلافها وتنوعها ما يشفي غليل الباحث من المعلومات المتصلة بهذا الإقليم ودوره السياسي والحضاري ، وكل ما نعثر عليه لا يزيد عن شذرات متناثرة وأغلبها يعالج موضوع الثورات وحركات العصيان السياسي التي شهدتها أرجاء شبه الجزيرة العربية بعامة ، والمناطق الغربية والجنوبية الغربية منها بخاصة ونعني بها الحجاز واليمن ، والتي تأتي نجران وما يجاورها ضمنها ، ومن ثم رأى الباحث أن يعرض بإيجاز لأهم تلك الحركات السياسية حتى نوضح للقارئ طبيعة الحياة السياسية في هذه الأوطان الواسعة والتي تشكل نجران جزءاً منها ، وبالتالي يمكننا أن نرجح أنه قد سادها ما ساد غيرها من مدن وحواضر الحجاز الكبرى من فتن سياسية ، وتأثرت بها ، ولعل من أبرز تلك الفتن والحركات السياسية ما يلي :

أ – ثورة أبي حمزة الخارجي ، ويدعى المختار بن عوف الأزدي السلمي ، ومستقره في مدينة البصرة بالعراق ، وكان معاصراً للخليفة الأموي مروان ابن محمد الجعدي (١٢٧ – ١٣٢هـ / ٧٤٤ – ٧٤٩م) ، والذي اعتاد ارتياد مكة المكرمة في كل مواسم الحج لنشر مذهبه الخارجي وتحريض الناس على الفتنة ، بغية القضاء على الخلافة الأموية ، وخلع مروان بن محمد ، وفي عام (١٢٨هـ / ٧٤٥م) التقى بأحد رجال حضرموت ويدعى ، عبد الله ابن يحيى الكندي ، الذي اقتنع بدعوته ، ودعاه للذهاب معه لحضرموت لنشر دعوته بين قومه ، وأشارت بعض المصادر إلى أن الكندي رغبه في ذلك بقوله : ((**إنني رجل مطاع في قومي فاذهب معي إلى بلادي لتجد النصرة**

والمنعة)) ، وبالفعل استحسن أبو حمزة الرأي ، وخرج بصحبة الكندي إلى بلاد حضرموت ، حيث طفق أبو حمزة ينشر أفكاره ، ودعى بالخلافة إلى عبد الله بن يحيى الكندي الذي تلقب بـــ ((**طالب الحق**)) ، ثم اجتمع من حولهما عدد كبير من بلاد حضرموت وما حولها ، فتكون لهما جيش كبير توجها به إلى مدينة صنعاء فاستولوا عليها وطردوا عمال بني أمية منها ، ثم امتد نفوذهما حيث خرج أبو حمزة الخارجي على رأس جيش قوامه ألف رجل فعبر بلاد صعدة ونجران والسروات حتى دخلوا مكة المكرمة فاستولوا عليها وواصلوا طريقهم شمالاً إلى المدينة المنورة فاستطاعوا السيطرة عليها [١] ، ووصلت أخبار تلك الحركة الخارجية واستيلائها على أغلب بلاد اليمن والحجاز إلى مسامع الخليفة مروان بن محمد فأعد جيشاً قوامه أربعة الآف مقاتل وأسند قيادته إلى عبد الملك بن عطية السعدي ، عام (١٣٠هـــ/٧٤٧م) الذي خرج على رأس هذا الجيش قاصداً المدينة المنورة ، ونجح في إلحاق الهزيمة بأبي حمزة الخارجي ، الذي خرج فاراً إلى مكة المكرمة فلحق به ابن عطية إلى هناك ليهزمه للمرة الثانية ، ويتمكن من قتله ، وتشتيت شمل أنصاره ، ثم حز رأسه وأرسلها إلى مروان بن محمد ومعها كتاب يبشره فيها بالنصر وقهر الخوارج [٢] .

أما أنصار الخارجي فقد عاد من نجى منهم إلى صنعاء مروراً بالسروات وأجزاء من بلاد نجران ، وأخبروا طالب الحق بالهزيمة ، فخرج على رأس مجموعة من أنصاره إلى أرض بيشة والسروات ، ومنها اتجه إلى

---

(١) الطبري ، جـ ٧ ، ص ٣٧٤-٣٧٦ ، ٣٩٣-٤٠٢ ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢٩٧ ، الخزرجي ، الكفاية ، ص ٧٤ - ٧٥ ، الحسين ، جـ ١ ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٢) الطبري ، جـ ٧ ، ص ٣٩٣ وما بعدها ، الخزرجي ، الكفاية ، ص ٧٤ ، الحسين ، جـ ١ ، ص ١٢٤ وما بعدها

الطائف ليأخذ بثأر أبي حمزة ورجاله ، ويمنع زحف الجيش الأموي على اليمن ، فالتقى بأبي عطية في نواحي الطائف ، حيث الحق القائد الأموي الهزيمة بطالب الحق وقتله مع عدد كثير من رجاله ، ومزق الخوارج كل ممزق ، ولم ينج إلا من لاذ بالفرار إلى صنعاء ، وتشير المصادر إلى تفاصيل المعركة حيث تذكر صمود الخوارج وذودهم عن أنفسهم ببسالة إلى أن تمكن الأمويين من زعيمهم (طالب الحق) فقتلوه ، عندئذ فت في عضدهم وهزموا [١].

لم يكتف ابن عطية بالقضاء على الخوارج في الحجاز ، وقتل أبي حمزة ، وطالب الحق ، بل رأى ضرورة استئصال شأفتهم كلية من بلاد اليمن ، فتوجه عبر بلاد السراة حتى وصل صنعاء فغادرها أتباع طالب الحق ، وما زال ابن عطية يلاحقهم في كل صقع من أصقاع اليمن حتى قتلهم وأبادهم [٢] .

ب – وتتابعت الفتن وحركات المعارضة ضد الخلافة الجديدة ، ونعني بها خلافة بني العباس ، وكانت الحجاز وبلاد اليمن ، ومنها المنطقة موضوع هذه الدراسة ، مسرحاً للعدد من هذه الثورات ، لا سيما ثورات العلويين الذين كانوا من أكثر العناصر شغباً ، حيث أثاروا عدداً من القلاقل في وجه بني العباس ، وهددوا استقرار الخلافة وسيطرة عمالها في تلك البلاد [٣] .

---

(١) المصادر نفسها .

(٢) المصادر نفسها ، وللمزيد انظر ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢٩٧ .

(٣) للمزيد عن ثورات العلويين ضد العباس خلال القرنين (٢–٣ هـ / ٨– ٩م) ، انظر ، الطـبري جـ ٧ ، ص ٥١٧ وما بعدها ، جـ ٨ ، ص ١٩٣ –٢٠٣ ، ٥٢٨ – ٥٣٣ ، جـ ٩ ، ص ٢٧١ – ٢٧٦ .

فتشير المصادر إلـــى أن العلويين قد انتهزوا نشوب الصراع بين الأمين والمأمون ، ووجدوا في ذلك فرصة سانحة لنشر دعوهم في البلاد ، فخرج على المأمون محمد بن إبراهيم العلوي المعروف بابن طباطبا بالكوفة عام (١٩٩ هـــ / ٨١٤ م) وصار يدعو إلى آل الرضا من آل محمد ، وعاونه في نشر دعوته قائد جنده أبو السرايا بن منصور الشيباني الذي استولى على الكوفة ، وطرد ولاة بني العباس منها [١] ، وعندما توفي محمد بن إبراهيم ولى أبو السرايا بدله غلاماً من العلويين يدعى محمد بن محمد بن يزيد ، ثم أرسل ولاة من العلويين إلى مكة والمدينة وبلاد اليمن ، ومن بينها نجران، وكان داود بن عيسى بن موسى ولياً لأمور مكة والمدينة من قبل الخلافة العباسية ، حينما وجه أبو السرايا إلى مكة حسين بن حسن الأفطس العلوي ، والي المدينة محمد بن سليمان بن داود بن حسن بن الحسين بن على بن أبي طالب فدخلوها دون قتال ، وقد شجع ذلك بعض العلويين بزعامة إبراهيم بن موسى ابن جعفر وجماعة من أهل بيته بمكة على مد الثورة إلى بلاد السراة فشملت الطائف وامتدت حتى وصلت بيشة وجرش ونجران وصنعاء دون مقاومة تذكر ، حتى إن إسحاق بن موسى بن عيسى بن عباس والي اليمن من قبل المأمون عندما سمع بقدوم إبراهيم بن موسى فرّ هارباً [٢] . وتذكر المصادر أن إبراهيم بن موسى نكل بكل من اعترض طريقه ، وأسرف في القتل حتى لقب بالجزار ، واستولى على كثير من الأموال والذخائر خلال الطريق من الحجاز إلى اليمن [٣] .

---

(١) الطبري ، جـ ٨ ، ص ٥٢٨ – ٥٣٦ ، ابن الأثير ، الكامل جـ ٥ ، ص ١٧٣ – ١٧٧ .

(٢) المصادر نفسها .

(٣) الطبري ، جـ ٨ ، ص ٥٣٥ – ٣٥٦ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٧٧ ، المقدسي ، البدء ، جـ ٦ ، ص ١٠٩ .

وبعد أن تمت السيطرة للعلويين على اليمن ، رغب إبراهيم بن موسى العودة إلى مكة والمدينة لإحكام السيطرة عليهما فخرج من اليمن قاصداً الحجاز عبر بلاد السروات حتى وصل مكة ، ولكن لم يستطع السيطرة عليها ، حيث سبقه الخليفة المأمون بإرسال جيش كبير إليها عام (٢٠٠هـ / ٨١٥م) بقيادة إسحاق بن هارون الرشيد لحفظ الأمن في الحرمين ، وقمع أي بادرة للفتنة والعصيان ، وتصدى هذا الجيش لإبراهيم بن موسى وألحق به الهزيمة ، وفرق جموعه وعاد إلى اليمن مهزوماً ، وضاعت هيبته ، وبخاصة بعد هزيمته ، ومقتل أبي السرايا في بلاد العراق على يد جيش عباسي آخر ، لتنتهي أحداث هذه الثورة العلوية التي كادت أن تفصل بلاد الحجاز واليمن عن بلاد الخلافة العباسية [1] .

وعلى الرغم من تعاطف الخليفة المأمون مع العلويين ، إلا أن عهده شهد عدة انتفاضات علوية أخرى ، ففي سنة (٢٠٧هـ/٨٢٢م) خرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب في بلاد علك باليمن يدعو إلى آل الرضا من آل محمد ، وأيده اليمنيون الذين رأوا فيه منقذاً لهم من ظلم وبطش الولاة العباسيين [2] . ولما علم المأمون بنبأ هذه الثورة أنفذ دينار بن عبد الله في عسكر كثيف لقمع تلك الثورات، وأمره أن يمنح الزعيم العلوي أماناً إذا كف عن العصيان، ولما رأى الثائر العلوي أن لا قبل له بجند المأمون ، قبل الأمان وجنح إلى السلم والموادعة ، ووضع يده في يد دينار ، الذي أرسله إلى المأمون فأكرمه وعفا عنه [3].

---

(١) اليعقوبي، تاريخ، جـ٢ ، ص ٤٤٨ ، الطبري، جـ٨ ، ص ٥٣٥ وما بعدها ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص ١٧٧ .

(٢) الطبري ، جـ ٨ ، ص ٥٩٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٠٤ .

(٣) الطبري ، جـ ٨ ، ص ٥٩٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٠٤ ، الحسين ، جـ ١ ، ص ٢٠٧ .

ج - وتوالت الاضطرابات في بلاد الحجاز واليمن على عهد الخليفة المأمون ، ومن عناصر أخرى غير علوية ، أثارها بعض الولاة العباسيين ، فقد عزل الخليفة المأمون حمدويه بن عيسى بن ماهان عن بلاد اليمن واستناب عنه في حكمه عيسى بن يزيد الجلودي [1] ، ولما علم ابن ماهان بمقدم الجلودي إلى اليمن رغب في صده عنها والاستقلال بها ، فأعد العدة لمنع الجلودي من دخولها ، ولكن الجلودي هزم جيش ابن ماهان واستولى على اليمن ، ودخل صنعاء وقبض على ابن ماهان وسجنه وسيطر على البلاد ، وعهد إلى عمال من قبله بحكم مخاليف اليمن ، ومن بينها نجران ، ثم عاد إلى العراق مروراً بالحجاز ، وترك على ولاية اليمن إبراهيم الأفريقي الشيباني [2] ، ولكن الاضطرابات عادت من جديد في تهامة اليمن ، وبشكل هدد استقرار الأمور هناك ، الأمر الذي دفع الخليفة المأمون العباسي للتفكير في فصل تهامة اليمن عن نجدها ، ووضع والٍ مستقل عليها ، يضبط أمورها ، ويقر الأمن والاستقرار في ربوعها ، فوجد ضالته في أحد قواده ويدعى محمد بن عبد الله بن زياد فعهد إليه بولاية تهامة وما يتبعها [3] . لتبدأ منذ هذه الفترة النزعة الانفصالية تسري في أنحاء شبه الجزيرة العربية ، فبعد أن ظلت طوال عهد الرسالة والخلافة الأموية وحتى أوائل القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، تابعة كلية للخلافة الإسلامية ، التي عمدت إلى تقسيمها إلى عدة ولايات ليسهل قبض زمامها مثل الحجاز ، واليمن ، واليمامة ، والبحرين ، نجدها مع السنوات الأولى من القرن الثالث الهجري ، تتأثر بالنزعة الاستقلالية التي

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٤٨- ٤٤٩ ، الخزرجي ، الكفاية ، ص ٩٩ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ جـ ٢ ، ص ٤٤٩ .

(٣) الواسعي، ص١٦٠ وما بعدها، الجرافي، ص ١٠٥-١٠٦، شرف الدين، اليمن، ص ١٨٨ وما بعدها.

سرت في غالبية أصقاع العالم الإسلامي المترامية الأطراف ، والذي صعب على الخلافة العباسية أن تسيطر سيطرة مركزية عليه ، فبدأت تسمح بظهور دويلات مستقلة عنها سياسياً ، وتابعة لها اسمياً وروحياً ، وإن كانت بعض الزعامات المحلية قد انتهزت فرصة الضعف الذي أصاب النظام الخلافي العباسي في عصره الثانـــي ، وما صاحبه من تردي شخصيات الخلافة ، فاستقلوا سياسياً وإدارياً وبشكل كامل عن العباسيين . على اية حال تأثرت بلاد اليمن بكل تلك التيارات السياسية ، فنشأت بها دولة بني زياد – كما أسلفنا – في تهامة اليمن وما تبعها بدءاً من عام (٢٠٣هـــ / ٨١٨م) وهي أول دولة مستقلة تنشأ هناك بعد انفصال بعض بلاد اليمن عن الحكم العباسي [١] ، وتلتها الدولة اليعفرية في صنعاء عام (٢٢٥ هـــ/ ٨٣٩م) [٢] ، ثم الدولة الزيدية في صعدة عام (٢٨٤ هـــ / ٨٩٧م) [٣] ،

---

(١) تذكر المصادر أنه في عام (٢٠٣ هـــ / ٨١٨م) شق أهل تهامة اليمن عصا الطاعة على الخليفة المــأمون (١٩٨ – ٢١٨هـــ / ٨١٣ – ٨٣٣م) فبعث إليهم الأمير محمد بن عبد الله بن زياد وقلده أعمال تلك البلاد لكي يــؤدب العصاة ، فذهب ابن زياد واستطاع القضاء على المتمردين هناك ثم طمع في الاستقلال بتلك النواحي ، واختط مدينة زبيد وأسس دويلة سميت " الدولة الزيادية " استمرت في عقبه لمدة قرنين ، وتم القضاء عليها عــام (٤٠٢ هـــــ / ١٠١١م) على يد بني نجاح . للمزيد انظر ، الجــرافي ، ص ١٠٥ –١٠٦ ، الواســعي ، ص ١٦٠– ١٦٢ ، الفقي ، ص ٨١– ٨٩ ، شرف الدين ، اليمن ، ص ١٨٨ – ١٨٩ .

(٢) دولة بني يعفر تعتبر ثاني دولة نشأت في اليمن واتخذت بلدة شبام ، ثم صنعاء مقراً لها ، ومؤســـسها إبــراهيم بـــن يعفر الحوالي الحميري ، وقد استمرت هذه الدويلة تحكم صنعاء وما جاورها من البلدان إلى عــام (٣٩٣ هـــــ / ١٠٠٢م) ، وللمزيد انظر ، الخزرجي ، الكفاية ، ص ١٠٤ وما بعــدها ، الواســعي ، ص ١٦٦– ١٦٨ ، الجرافي ، ص ١٠٧– ١٠٨ ، الفقي ، ص ٩٠– ٩٧ .

(٣) هذه الدولة نسبة إلى زيد بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أنشأها الإمام الهادي يحيى بـــن الحسين بن القاسم عام (٢٨٤هـــ/ ٨٩٧م) الذي كان يعيش بالمدينة المنورة ، ثم ترك محل إقامته وذهب إلى صعدة فبويع إماماً بها على المذهب الزيدي الذي لا يزال المذهب الغالب على أهل اليمن ، وقد استطاع الإمام الهادي مـــن مد نفوذه إلى صنعاء وإلى مواطن عديدة من بلاد اليمن ، وخلفه عدد من الأئمة استمروا في حكـــم الــبلاد إلى القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي ، عندما تحولت الدولة إلى جمهورية ، وللمزيد انظر ، الواســعي ، ص ١٧٩ وما بعدها ، شرف الدين ، اليمن ، ص ٢٤٥ – ٢٦٢ ، الفقي ، ص ٣٧٨ وما بعدها .

ثم الدولة الإسماعيلية الأولى وكان علي بن الفضل القرمطي الحميري ، ومنصور بن حسن الكوفي هما اللذان قدما إلى اليمن بهدف نشر لمذهب الإسماعيلي هناك [1] .

ورغم سريان النزعة الانفصالية في الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية ، فلم تهدأ الأمور ، وتستقر أحوال تلك الدول الوليدة ، بل تتابعت حركات التمرد والعصيان ، وشاعت الحروب ، فبعد ظهور الإمام الهادي يحيى بن الحسين في صعدة عام (٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) وتأسيس دولته الزيدية نجده يسعى لمد نفوذه إلى صنعاء جنوباً ، ونجران شمالاً ، وقد وجد في بلاد نجران من يعضده ويقف إلى جانبه ويسهل له مهمة السيطرة عليها ، ومنذ ذلك الوقت تزايد اهتمام دولة الأئمة الزيدية بمنطقة نجران وسعى حكامها للسيطرة عليها ووضع الولاة من قبلهم عليها ، ولكنهم ما أن تنفر جيوشهم منها في طريقها إلى صعدة ، حتى تقوم ثورات أهل نجران ضد ولاة الدولة الزيدية ، وينجحوا في إخراجهم وأنصارهم منها .

---

(١) الإسماعيلة هي الباطنية نسبة إلى إسماعيل الامام ، ويعتقدون اختفاءه وأنه المهدي المنتظر الذي لا بد وأن يظهر يوماً ما وحلول الألوهية فيه ، وأن القرآن يمكن تفسيره عن طريق المجاز ، وأن الحقيقة الدينية تفسر بالمعنى الذي هو مقصود في المعنى الظاهر . وبداية هذه الدولة أن علي بن الفضل ، ومنصور بن حسن قد أرسل في عام (٢٩١ هـ /٩٠٣ م) من قبل عبد الله المهدي لنشر المذهب الاسماعيلي في اليمن ، وقد خرجا حتى وصلا إلى اليمن ثم افترقا وبدأ كل واحد منهم يبذل جهده لنشر هذا المذهب ، لكن علي بن الفضل ضل عن الخطوط العامة لمذهب الاسماعيلة واتبع مذهب القرامطة الذي هو أشد وأنكى من مذهب الإسماعيلة ، وقد جمع من حوله أعداداً كبيرة ثم عاث في الأرض فساداً بعد أن هاجم العديد من مدن اليمن ولكن أمراء الدولة اليعفرية تصدوا له حتى تم القضاء عليه عام (٣٠٣ هـ / ٩١٥ م) وبالتالي تم ملاحقة من كان يعتقد بمذهب القرامطة والإسماعيلة حتى جاء علي بن محمد الصليحي عام (٤٣٧ هـ /١٠٤٥ م) فأعاد مذهب الدعوة الإسماعيلة تحت مظلة الدولة الصليحية . انظر الجرافي ، ص ١١١ – ١١٤ ، الواسعي ، ص ١٦٩ – ١٧١ ، شرف الدين ، اليمن ، ص ١٩٧ – ١٩٨ .

وهكذا ظلت الأمور في نجران خلال الفترة موضع الدراسة ، قلق واضطرابات وحروب داخلية بين الزيدية ، وأهل نجران ، رغم طول المدة وتعدد الحروب والثورات والصراعات بين الأئمة الزيدية وأتباعهم ضد أهل نجران ، وإحراز الزيديين عدداً من الانتصارات ضدهم ، إلاّ أنهم لم يستطيعوا ترسيخ مبادئهم ومذهبهم الزيدي فيها ، حيث بقي معظم سكان نجران على المذهب السني الشافعي الذي كانوا عليه من قبل ، واستمروا كذلك خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة [1] .

وما أشرنا إليه من فتن سياسية وثورات كان محلها بلاد اليمن أو الحجاز ضد خلفاء بني أمية أو بني العباس ، ثم سريان النزعة الإنفصالية ، وظهور الدويلات المستقلة ، وما تبع ذلك من اضطرابات ليست إلا نماذج مختصرة لنطلع القارئ الكريم على وضع شبه الجزيرة العربية بعد خروج حاضرة الخلافة الإسلامية منها ، وبعد أن صارت أجزاءها ضمن ولايات الدولة الإسلامية التي كانت عاصمتها دمشق في بلاد الشام ، ثم بغداد في أرض العراق ، وبالتالي فعامل البعد للحكومة المركزية جعل السيطرة على أجزاء شبه الجزيرة العربية مثل : الحجاز، وبلاد السراة، ونجران، واليمن وغيرها ضعيفاً ، ولم يعد الخلفاء قادرين على السيطرة وقمع أي ثورة تقوم في أي جزء من أجزاء الجزيرة العربية بسهولة ويسر وفي فترة زمنية وجيزة مقارنة بعصري الرسالة والخلافة الراشدة، ولكن عصر بني أمية والقرن الأول من عصر بني العباس كان أفضل حالاً من القرون التالية لذلك ، فكان الخليفة يتمتع بالشخصية القوية الحازمة والقادرة على إرسال ولاة من قبله إلى كل من الحجاز واليمن وغيرها ، بل كانت عنده القدرة على تأديب وعزل من

---

(١) للمزيد عن تاريخ الأئمة الزيدية في صعدة وما حولها ، انظر العلوي ، ص ٧٢ وما بعدها ، الواسعي ، ص ١٧٩ – ١٨١ ، الجرافي ، ص ١٦٥ ، شرف الدين ، ص ٢٤٥ وما بعدها .

يخرج عن ما رُسم له من قبل الخليفة ، ولكن منذ منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي نجد معظم بلاد الجزيرة العربية تخرج عن سلطة الخلافة العباسية في العراق بل يظهر من لديهم أطماع تكوين سلطات لهم في جزيرة العرب كما حدث مع دولة آل يعفر وغيرها في بلاد اليمن .

وإذا حاولنا معرفة أوضاع الأجزاء الصغيرة في الجزيرة العربية مثل نجران وما شابهها في فترة الضعف هذه ، فإن الأوضاع تزداد غموضاً عند مدوني التراث ، فلا يذكرون تفصيلات عن تاريخها والأحداث التي مرت عليها ، ولا نجد إلا شذرات يسيرة في بعض المدونات المحلية في بلاد اليمن والحجاز، وحتى هذه فالغموض يكتنفها، ولعل مرجع هذا الإهمال والغموض هو انعدام السيطرة والسلطة المركزية في تلك الأصقاع وتمادي نفوذ القبائل وزعمائها ، فصاروا هم العناصر المسيطرة والمسيرة لمعظم الأحداث في الجزيرة العربية ، وإن خرجت دويلات هنا وهناك فكانت لا تجد الولاء المطلق من القبائل المتناثرة في بلاد نجران وغيرها ، وإن انضمت بعض القبائل لبعض تلك الدويلات التي ظهرت فكان هذا الانضمام بشكل مؤقت ولمصلحة ذاتية تعود على القبيلة والعشيرة وزعمائها ، وأحياناً تدخل بعض القبائل والعشائر تحت سلطة حكومة أو دويلة معينة بأسلوب القوة والجبر أو لهدف تقوية جانبها ضد أعداء آخرين يهددون كيانها واستقلالها . فبات المؤرخون ومدونو التراث لا يهتمون بتلك الأحداث المحلية اليسيرة ، وركزوا جل اهتمامهم على ما يجري في بلاط حاضرة الخلافة العباسية ، وغيرها من الحواضر الإسلامية بزخمها الحضاري والسياسي ، تاركين الاهتمام بهذه المناطق الصغيرة ليعتورها الإهمال والنسيان .